بحوث فى....

تحليل الخطاب الإقناعى

الأستاذ الدكتور / محمد العبد
أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية
كلية الألسن - جامعة عين شمس



MALIB
الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي

اختارها ونقلها إلي العربية

أ. د. محمد العبد

كلية الألسن ــ جامعة عين شمس

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الكتاب : **بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي**

اختارها ونقلها إلي العربية : **الأستاذ الدكتور محمد العبد**

تاريخ الإصدار : ٢٠١٣ م

حقوق الطبع : محفوظة للناشر

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

العنوان : ٨٢ شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ١٧٣٤٥٩٣ ٠١٢٢

البريد الإليكتروني:

m.academyfub@yahoo.com

m.academyfub@gmail.com

رقم الإيداع : ٢٠١٣ / ٥٠٠٠

الترقيم الدولى : 0 - 67 – 6149 – 977 – 978

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

المقدمة

إذا كان الإقبال على ترجمة عمل بعينه يعدّ موقفًا وتوقعًا مأمونًا لأثره وجدواه، فقد أردت بما اخترته ونقلته إلى العربية من بحوث في هذا الكتاب، أن يشاركني ما فيها من نفع وما يتوقع لها من أثر في حقل تحليل الخطاب – لاسيما الخطاب الإقناعي – القراء المهتمون والباحثون الاختصاصيون.

ولا يخفى أن محاولات ارتياد هذا الحقل في الدراسات العربية: اللسانية والنقدية، لم تجاوز الحبو بعد، على رغم أنها تنعم الآن بريعان شبابها في الدراسات الغربية. من هنا، حق شق الدروب التي تصل جهود العاملين في تحليل الخطاب في البيئة العربية، بكل فكر جديد يثريها ويزيدها تبصرًا بنظرية هذا العلم وإجراءات العمل التطبيقي فيه.

تبحث الدراسات المختارة في هذا الكتاب في خواص الخطاب الإقناعي: اللسانية والتداولية، وتكشف عن بعض الأسس والفروض التنظيمية التي يستند إليها هذا الجنس من الخطاب.

أما تلك الدراسات المختارة، فهي لبعض من الاختصاصيين الغربيين أو من أبناء جلدتنا في الغرب. وهم – على ترتيب الكتاب –: ديبورا شيفرين، وباسل حاتم، وباربرا جونستون، وعدنان الجبوري. وهذا التوازن – على أي حال – توازن عفوي لم يقصد إليه.

في بحث "المجادلة اليومية"، تقرر شيفرين أن الأسئلة التي يمكن أن تنهض عن البنية والتماسك الدلالي في المجادلة، هي ذاتها الأسئلة التي نحتاج إلى طرحها عن أجناس خطابية أخرى. وإذا كانت المجادلة جنسًا من الخطاب، يدعم فيه الأفراد مواقف نزاعية قابلة للجدل، ويتبادل فيه المتجادلون المعاني الإشارية والاجتماعية والتعبيرية، فإن النظام الذي تبنى عليه المجادلات: بلاغية كانت أم اعتراضية، مما أمعنت فيه شيفرين

النظر، من خلال نصوص مجادلات من هذين النوعين، بغية مقارنة التنظيم النصي للاستعلام في المجادلات، ومقاربة كيفية تحقيقها مقصد الإقناع.

وفي محاولة تالية لباسل حاتم – وهو من أهل العلم والخبرة في ذلك المجال – كان القصد إلى تجلية نموذج المجادلة من البلاغة العربية. وهذه محاولة علمية من محاولات التبصر في نظرية أنماط النص. أشار باسل حاتم إلى أهم ملامح المجادلة في العربية المعيارية المعاصرة، ثم أمحض القول لنموذج المجادلة الذي رسمه البلاغيون، في القرن الثالث الهجري، من خلال "نقد النثر" لقدامة بن جعفر. وقد دعاه المقام إلى أن يعرض أفكارًا عن أن الفشل الاتصالي في المجادلة، مما ينبغي أن يوجه فيه اللوم إلى المتكلم العربي لا إلى العربية، وأن الإقناع يعمل في اللسان العربي عمله الجمالي؛ أي بالعرض لا بالبرهان، وأن سكون الاستراتيجيات الحيوية في المجادلة العربية، لا ينبغي له أن يحلل في حدود أي قصور ذاتي في نظام العربية، بل في حدود العلاقة المعقدة بين اللغة والمجتمع، أو بين الخطاب والأيديولوجيا.

من ناحية أخرى، تجعل باربرا جونستون لدراستها "التوازي في العربية، التعديل قالبًا للإقناع"، تجعل لها محورًا موضوعيًا مختلفًا، هو البرهنة على أن العوامل اللغوية في استراتيجيات الإقناع، تعدل في الأهمية ما ارتبطت به ارتباطًا تقليديًا من عوامل نفسية وتاريخية. ومما لاحظته باربرا جونستون أن الخطاب الإقناعي العربي خطاب تكراري، وأنه مبني بناء كليًا تقريبًا على التوازي. بناء على ذلك، سعت – متوسلة بالنصوص – إلى بحث الأسباب التي جعلت التكرار في العربية الآلية الأشيع والأقوى في الإقناع، سواء أكان تكرارًا بنائيًا أم تكرارًا معنويًا.

وكان من المفيد – في هذه الحال – أن نختار بحثًا آخر مثل "دور التكرار في خطاب المجادلة العربي" لعدنان الجبوري، يتغيا فيه صاحبه

عرض بعض الملامح التي تميز طبيعة التكرار ووظيفته في خطاب المجادلة المكتوب بالعربية المعيارية المعاصرة، وتحديد الأنماط المختلفة التي تتخذها الوسائل الشكلية المستخدمة في العربية للتعبير عن التكرار وإنجاز تأثير بلاغي. ولعل الطريف في هذه الدراسة هو المقابلة بين العربية والإنجليزية، من حيث استعمالات الجذر الواحد، ومن حيث اختلاف قوانين الخطاب بينهما في بعض الأبواب البلاغية: إقبالاً وإدبارًا. وعلى رغم أهمية الإشارة إلى بعض الخواص الخطابية للعربية في هذه الدراسة، فإن منها ما يحتاج إلى استقصاء وبيان للعلل؛ كالقول بالابتكارية والإنتاجية في السلاسل اللفظية في العربية، ومنها ما يحتاج إلى استقصاء وبيان لدرجات الشيوع؛ كالقول في مجموعات تلك السلاسل وأشكال العلاقات الدلالية بين مكوناتها.

ومهما يكن من أمر، فإنني آمل – بما اخترته ونقلته إلى العربية هنا من بحوث – أن نتقدم خطوة على طريق بناء معرفة أفضل بخطاب المجادلة من جنس الخطاب الإقناعي، وأن نحث الهمم على مواكبة فكر العصر في تحليل الخطاب بعامة، والنظرية اللسانية المعاصرة بوجه أعم. ولا نزعم أن هذا العدد المحدود من البحوث المقدمة هنا يستطيع أن يحقق هذه الأهداف الكبرى، ولكن حسبه أن يطرق باب العناية بتحليل ذلك الجنس من الخطاب في العربية.

محمد العبد

البحوث

(١)

المجادلة اليومية: تنظيم المغايرة في الكلام

ديبورا شيفرين(*)

مدخل:

نظن غالبًا أن القصد إلى المجادلة يعني إقناع الآخر بقبول موقف كان يعترض عليه سابقًا، أو على الأقل بلوغ الاتفاق على أن نوحد وجهة نظرنا. على أن الجدل غالبًا ما ينجز من غير أن يتمخض عن كاسبين وخاسرين، ودونما بلوغ حل. تنجز جدالات كثيرة بين مشاركين يكررون توكيدهم الالتزام بالمواقف المتعارضة مع ما بدأوا به، أو بإعادة التركيز على رفضهم مواقف اعتراض جديدة، بدلاً من أن ينضموا إلى موقف انتهى إلى بسطه.

إن استكشاف البنية Structure والحبك Coherence في جنس من أجناس الخطاب، يعد – كما أظهرت فصول هذا الجزء من كتاب "المرجع Handbook"(†) – يعد أمرًا معقدًا. ونظرًا للاستقطاب طويل الأمد Prolonged Polarization الذي ينشأ بين الأطراف المشاركة، فإن التنظيم الكامن في المجادلة يبدو غالبًا تنظيمًا غامضًا. في هذا الفصل، نرى أن المجادلة جنس من الخطاب، تبنى فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة، في الوقت عينه الذي يقوضون فيه دعامة خصومهم وتنتج المجادلة عن المداولة المتصلة للمعاني الإشارية والاجتماعية والتعبيرية. ويعتمد هذا الأمر اعتمادًا كبيرًا على التعاون بين المتكلم والمستمع على المنحى الذي تبديه بينهما المنافسة.

---

*) Deborah Schiffrin: Everyday Argument: the Organization of Diversity in Talk, in Teun A. van Dijk (ed): Handbook of Discourse Analyais, Vol 3 :Discourse and Dialogue, Academic Press-London, 3d. Edition (1989) pp,35-46

(†) تعني هذا الكتاب الذي منه هذا البحث.

إشكاليات عامة في تحليل المجادلة :

درست المجادلة منذ القدم. وقد حيرت وجوه متباينة للمجادلة الباحثين من حقول عدة. من أجل ذلك، فإن مراجعة بحوث الماضي في المجادلة ليست مشروعًا واسعًا يضيق به الفصل الحالي فحسب، ولكنها أيضًا مراجعة تمس حقولاً عدة: كالفلسفة (الشكلية وغير الشكلية)، والبلاغة، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم اللغة. فإذا قصرنا همنا على الجدل، من حيث هو جنس من الخطاب، فلن تختزل مهمتنا اختزالاً عظيمًا؛ وذلك أننا – في مواضع أخرى من هذا المرجع "Handbook" – نرى أن تحليل الخطاب ذاته حقل تتجاذبه ميادين مختلفة عدة. أضف إلى ذلك، أن كثيرًا من الأسئلة التي يمكن أن تنهض على البنية والحبك في المجادلة، هي ذاتها الأسئلة التي نحتاج إلى طرحها عن أجناس خطابية أخرى، حتى لتأخذ بنا المراجعة الكاملة إلى مرامٍ بعيدة من اتجاهات أخرى.

إذن فما نفعله في الصفحات القليلة التالية، هو الوقوف على حقيقة بعض الإشكاليات العامة التي تواجه تحليل خطاب المجادلة، مشيرين – في الموضع المناسب – إلى المعارف السابقة لتلك الإشكاليات. نقوم – بعد هذا– بفحص مجادلتين اثنتين من محادثات يومية: مجادلة بلاغية Rhetorical Argument ومجادلة اعتراضية Oppositional Argument، حتى نعرض السياق العملي والوصفي الذي يمكن لتلك الإشكاليات العامة أن توجه داخله على نحو أكثر نفعًا.

تتصل الإشكالية المركزية في تحليل المجادلات بالنظام الذي تنطوي عليه: هل هي متواليات من خطوات مترابطة ترابطًا منطقيًّا؟ ولماذا تسمح بعض القضايا Propositions بطرح قضايا أخرى؟ وما خطوات الاستدلالInference التي تنتج عن تعليل مبني على السفسطة Fallacious Reasoning ؟.

قامت تحليلات منطقية عدة بمقاربة المجادلات من حيث هي كيانات شكلية شبه رياضية مجردة، هذه الكيانات التي يمكن لنا أن نختبر صحتها. رفضت مقاربات أخرى النموذج القائم على القياس المنطقي الشكلي formal syllogistic model. أثبت تولمين Toulmin (١٩٥٨) – على سبيل المثال – أن النموذج الفقهي للمجادلة Juris- prudential model يبدي هيكلاً أقل غموضًا؛ وذلك أن الوحدات التقليدية للمقدمات المنطقية والنتائج، تعمي وحدات المعطيات data، والمستندات worrant، والتعضيد backing، والتكييف qualifi- cation، ودفع الدعوى rebuttal، والنتيجة conclustion، التي هي جميعاً وحدات متمايزة تمايزًا شديدًا، ويعد عمل كواستهوف Quasthoff (١٩٧٨) تطبيقًا لنموذج المجادلة اليومية عند تولمين.

وقد لاحظ كومر Kummer وكومر Kummer (١٩٧٦) أن تحليل المجادلة عند تولمين يختلف عن النظرية الأرسطية. ولا يرجع هذا إلى نبذ تولمين النموذج القائم على القياس المنطقي فحسب، بل يرجع أيضًا إلى أن التحليلين قد وصلا إلى نتائج مختلفة في مساجلات قديمة أخرى عن المجادلات: هل المجادلة إخبار بالبرهان إخبارًا مختصرًا؟

في النظرية الأرسطية، كان البرهان هو شكل المجادلة التي تتميز جميع الخطوات المنطقية فيها بالصراحة. يدخل في ذلك جميع الأوليات axioms والقضايا المسلم بها postulates – وكذلك الحال مع العلاقات المنطقية التي يأتي من خلالها الاستنتاج. في هذه النظرية، ليست معظم المجادلات براهين؛ لأنها جميعًا تستحضر الحقائق التي تجعل المجادلة تبدو طويلة طولاً مفرطًا وملتبسًا، كما تستحضر جميعًا – في وضوح – الحقائق والعلاقات المنطقية التي تجعل المجادلة مطنبة (أرسطو ١٩٥٤، ٩٦أ). في تحليل تولمين– من الجهة الأخرى – لا توجد البراهين على الإطلاق، ومن هنا لا تكون المجادلة نقل البراهين نقلاً مختصرًا. وكان سكربنر Scribner (١٩٧٩) قد قدم بحثًا تطبيقيًا عن الفروق الفردية والحضارية بين المجادلات والبراهين.

هناك مقاربات أخرى جعلت اشتراطات تنظيم المجادلة مبنية على أساس المعرفة المحصَّلة لدى المتكلم والمستمع وعلى أساس ما يقبله كل منهما (هامبلين١٩٧٠). تثير هذه المقاربات إشكاليات عامة أخرى مثل: هل يقصد إلى المجادلة للإقناع؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تحقق المجادلة هذا القصد؟ وكيف تطوع لجماعات مختلفة من المستمعين؟ ظهر توكيد الإقناع في عمل قام به كل من بيرلمان Perelman وأولبرشت – تتكا Olbrechts-Tyteca (١٩٦٩)، اللذين وجدا أن المجادلة المؤثرة هي التي تقنع الآخرين بموضوعها. تقدم مثل هذه التحليلات – بدلاً من التركيز على اكتشاف البنية الشكلية – تقدم – على نحو نمطي – مادة ثرية من الملاحظات عن أنماط المجادلات وتصنيفاتها.

بناء على ذلك، مايزت تلك المقاربات – على نحو افتراضي غالبًا – بين المجادلات الجيدة والمجادلات الرديئة. ولكن الإشكالية العامة الأخرى ترتبط ببنية المجادلة المعيارية: كيف يتجادل الناس في حال اتباعهم معايير ثقافية واجتماعية خاصة في كلامهم؟ وجد بلوتش Bloch (١٩٧٥) – في حشد هائل من الخطابة السياسية في المجتمعات التقليدية – وجد تكراراً لافتًا للنظر لنماذج مألوفة في المجادلة العلنية. اهتمت أعمال أخرى بمعايير مجادلات الأطفال، ومن ذلك مثلاً أعمال لاين Lein / برينايس Brenneis (١٩٧٨). بناء على ذلك، لم أميز بين المجادلة حوارًا داخليًا as monologue والمجادلة حوارًا خارجيًا as dialogue. وعلى رغم ما يقدمه هذا التمييز من نفع في تحليلات كثيرة للخطاب، فإنه لا يبدو الآن قابلاً للتطبيق في مجال تحليل المجادلة. تزعم مناقشات عدة من النوع الذي يعني بالمجادلة من حيث هي حوار داخلي، تزعم أن وجهة النظر التي أخذ بها ما زالت خلافية، أو أنها لم تلق قبولاً حتى الآن. من الجهة الأخرى، تصف لنا التحليلات التي اهتمت بالمنازعات disputes (أي التي اهتمت اهتمامًا واضحًا بالجانب الديالوجي من المجادلة)، تصف الكيفية

التي يدعم بها المتكلمون مواقفهم ويدافعون عنها بالتحليل المنطقي والتدليل الشخصي.

نميز – إبانة عن بعض خواص المجادلة الخطابية discourse properties of argument – نميز بين المجادلات البلاغية والمجادلات الاعتراضية، وإن لم يكن إدراك مثل هذا التمييز مكفولاً دائمًا من الناحية التطبيقية. المجادلة البلاغية خطاب يعرض فيه المتكلم حوارًا ذاتيًا كاملاً مساندًا موقفًا نزاعيًا. أما المجادلة الاعتراضية، فهي خطاب يدعم فيه متكلم أو أكثر مواقف نزاعية دعماً علنيًا. نستخدم هذا التمييز سياقًا وصفيًا، نبحث من خلاله الإشكاليات العامة التي نوقشت. بانتحاء هذا المنحى، نرى أن المجادلات البلاغية والمجادلات الاعتراضية، إنما تتحقق من خلال بعض مبادئ تنظيم الخطاب ذاتها، وتعتمد على بعض الفروض عينها التي ينطوي عليها الخطاب.

المجادلة البلاغية:

نجد في رقم١ مجادلة بلاغية، تبرر فيها المتكلمة (وهي تبلغ من العمر ٢٨ عامًا – من طبقة متوسطة – بيضاء اللون) تبرر اعتقادها في القضاء والقدر(*). وإخبارها عن معتقدها هو الذي يصوغ موقفها (١=مو). أما تبريرها هذا الموقف، فهو دعامتها (=دعا):

: يعقتد كثير من الناس أن ما سيحدث سوف يحدث.

مو ١ إيرين: أعتقد هذا.

: أن ما سيحدث سوف يحدث..

أيرين : نعم.

(*) استخدمت في تحليلي المجادلة مادة مستقاة من مقابلات لغوية اجتماعية، قمت بها جزءًا من عمل ميداني، مع جيران لي يهود، من طبقة متوسطة عليا في فيلاديلفيا. كان هـذا العمل جزءًا من مشروع التغير والتنوع اللغويين، أشـكر ويليـام لابـوف William Labov الباحث الرئيس، على ما أضافه من مادة. وقد ناقشنا ما نقرره في هذا الفـصل على نحو أكثر تفصيلاً – في: Schiffrin (١٩٨٢م).

مو ٢ : أعتقد... تعرفين أنه (يكون) القضاء والقدر.
٣ : هو هذا (يكون) حقًا
دعا ٤ : لأن زوجي له أخ لقي مصرعه في حادث سيارة.
٥ : وفي نفس الوقت كان هناك شخص آخر داخل السيارة، خرج منها دون أن يصاب بخدش.
مو ٦ : وأنا أشعر بأن...
٧ : أشعر أنه ليس باستطاعتك التحكم في الأقدار.
٨ : وأظن أن مجموعة من الناس عندهم شعور بقدرتك على التحكم في الأقدار
٩ : ولكني أشعر أنك تقيمين هنا غصبًا عنك للعديد... من السنوات. أو أيًّا كان الأمر،
١٠ : وهذه (تكون) تصاريف القدر.
دعاء١١ : لأننا... عندما تزوجنا
١٢ : كان من المفترض أن نتزوج... أليس كذلك.. أي بعد حوالي خمسة شهور.
١٣ : تلقى زوجي إخطارًا بالخدمة العسكرية.
١٤ : ولذا ارتحلنا.
١٥ : كما أن والدي توفى... بعد أسبوع من زواجنا.
١٦ : عندما كنا في شهر العسل
مو١٧ : كما أنني شعرت أن هذا الارتحال كان أمرًا فرضته الأقدار
١٨ : لأنه لو كان الأمر خلاف ذلك ما كان قد انتقل إلى هناك؛ نعم... أحيانًا
موإيرين١٩: هكذا، أنت تعرف، أنه فيما يبدو هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور.

تعرض المتكلمة (إيرين) موقفها في مواضع متنوعة: في استهلال المجادلة (١–٣)، وبين القطعةالأولى والثانية من التدليل (٦–١٠)، كما تعرضه في ختام المجادلة (١٩). لهذا التكرير المعنوي أدوار حوارية ونصية وتقويمية في التنظيم الكلي للمجادلة. تعرض المتكلمة أولاً موقفها إجابة عن التماس الاستعلام information. تشبه هذه الالتماسات الأسئلة في تواليها: هي الجزء الأول من الثنائية التي تجاور ثنائية أخرى، هذه التي تجعل ثغرة للجزء الثاني من الثنائية (الإجابة) (ساكس Sacks ١٩٧٢). نظرًا لهذا التوقع المتوالي، تقع الإجابات غالبًا في مواقف دانية من الدورة turn؛ حتى يمكن أن تنشأ صلة بينهما وبين السؤال السابق على نحو أسهل. من ثم، فإن شرح الموقف في١–٣ وفي١٩يصل ذلك الموقف بالتماس الاستعلام السابق.

تترك شروح الموقف المتجاورة ملامحها في التنظيم النصي للاستعلام في هذه المجادلة، فضلاً عن دورها الحواري. إن هذه الشروح تنشئ – من حيث هي حدود المجادلة الخارجية – الاستعلام الذي ينقل على أنه الموضوع الرئيس. كذلك، فهي تنطوي على تلك الحدود من الاستعلام (محددات الاستعلام) التي تلعب دورًا ثانويًا(*). أما المؤشرات الدلالية لهذا التفاوت في وضعية الاستعلام، فهي المواد اللغوية المتنوعة التي تنشئ الموقف بوصفه موقفاً مطلقاً (أي بوصفه قضية تترامى شروط صدقها على نطاق واسع من الواقعات events والمواقفSituations): مثل كاف الخطاب التي ليست لمعين (في٧،٩) وفعل الكينونة في (٢،٣) وفعل التصور (يبدو) (في١٩)، والزمن المضارع في (١–٣، ٧–١٩،١٠). تساعد تلك العناصر جميعًا في إنشاء موقف عام؛ لأنها لا تقيد الواقعات events والأحوال States التي عرض لها الحديث بإطار زمني موقفي

(*) يصعب تعريف فكرة "الموضوع point" تعريفاً دقيقاً. أعتمد هنا على تعريف بدهى للموضوع بأنه الرسالة الرئيسية The main message، أو بأنه تعليق على محور بعينه من المحاور الكلامية يعمد المتكلم إلى نقله. هذا فى الوقت الذى تقبل فيه مستويات المعانى الحضارية والاجتماعية والفردية المختلفة أى تعريف أدق. انظر – على سبيل المثال – بولانى Polanyi (١٩٧٩) وشيفرين Schiffrin (١٩٨١) فى مناقشة الوسائل التقويمية evaluative devices التى تشير إلى موضوع الحكى The point of narrative.

يسهل تحديده. أما المؤشر البنائي على هذا التفاوت في الوضع الاستعلاميinformational Status بين الموقف ودعامته، فهو توزيع علامات الخطاب discourse Markers والروابط conjunctions توزيعًا متباينًا داخل أجناس كالجدل والتعليل: الربط بين منطوقات رئيسة بالواو و"هكذا" و"لكن" (في بداية الموقف غالبًا)، والربط بين جمل تابعة بـــ: لأن (في بداية الدعامة غالبًا). في مجادلة إيرين – مثلاً – تتقدم الواو الموقف في ٦، وكذلك التعبير عنه على نحو أخص بـــ "كما" في ١٧، وتتقدم "هكذا" الموقف في ١٩، أما "لأن"، فتتقدم الدعامة في ٤ و١١.

ومن الأدلة البنائية الأخرى على أن الموقف هو الموضوع الرئيس في الخطاب، أن الموضوع متكرر في حد المجادلة الخارجي وفي حد الموقف الداخلي في آن معًا: يقع التكرار من ٦–١٠ بين قطعتين من قطع الدعامة. يعيد هذا التكرير الموضوعي إنشاء ما دعم بالخطاب السابق والخطاب اللاحق كليهما.

المجادلة البلاغية جنس من الخطاب، لا ينشئ فيه المتكلم موقفًا، أي موقف؛ بل ينشئ موقفًا يحتمل النزاع. بعبارة أخرى، يوجه المتكلم آراءه صوب معارضة محتملة.

وغالبًا ما تستخدم وسائل المتكلمين في تعزيز مضمون كلامهم أو توكيده دليلاً على الصبغة الجدالية أو النزاعية لموقفهمdisputability، وإن لم تكن تلك المواقف صريحة النزاعية عند مخاطبيهم. يمكن أن نعثر على كثير من مثل تلك الوسائل في مجادلة إيرين. مثال ذلك أن إيرين في ٣ تعزز مضمون معتقدها بكلمة (حقًا). وفي ٦ تشرع في تعزيز ذلك المعتقد ثانية بكلمة (حقًا). وفي ٧–١٠ تعزز معتقدها بمقارنته بمعتقدات مقابلة(*). أضف إلى ذلك، أن هذه المقارنة الخاصة في ٨ تسم موقف

(*) تمتلك المقارنات غالبًا، شأنها شأن الإنكارات negatives، وظيفة التقوية في المجادلة؛ لأنها تلقي ضوءًا على توكيد المتكلم موقفه. كذلك فإن كلاً من المقارنات والإنكارات تعد تقويمًا في أجناس خطابية أخـــرى كالـــسرد narrative (لابـــوف ١٩٧٣) والتعليـــل explanation (فاينر).

إيرين بأنه ليس رأي الأغلبية، ومن هنا تشير إشارة صريحة إلى أنه موقف جدالي.

هكذا يبدو موقف إيرين موقفًا يحتمل الجدال؛ وذلك أنه محض عرض لمعتقد. تختلف المعقتدات، والآراء، والأحكام، والمشاعر، عن توكيد الحقيقة وتقريرها؛ وذلك أنها عروض حالات معرفية داخلية، لا تجدي معها المشاهدة ولا يستقيم التثبيت. وعندما تعرض تلك الحالات في محادثة يظل حق المتكلم في الاستعلام محفوظًا. ومهما يكن من أمر، فإن التناقض الظاهري paradox مما ينبغي لنا ملاحظته: لما كانت المعتقدات ملكية المتكلم الخاصة في الاستعلام، فإن حقه في الاحتفاظ بهذه الملكية لا يمكن إنكاره. ولكن لما كانت تلك المعتقدات لا تجدي برهانًا، فلا يمكن إنكار حقوق الآخرين في الشك في شرعيتها.

تعطي هذه الحالة من التناقض الظاهري المعقتدات دورًا مزدوجًا في المجادلات البلاغية. ولما كانت شرعية معتقدات فرد بعينه مما لا يمكن للآخرين – على نحو آلي – ادعاؤه أو صده، فإن المتكلمين يسوغون – وفقًا لذلك – مثل تلك المعتقدات، من خلال التدليل عليها أو تعليلها، حتى وإن لم يتحداهم أحد بها أو يستجوبهم عنها على نحو صريح. ولما كان تبليغ المعتقد فعلاً كلامياً يعتمد اعتمادًا جزئيًا فحسب على الصدق (وهو يعتمد هنا جزئيًا على مزاعم المتكلم المبنية على صدقه)، فإن المجادلة التي يكون الموقف فيها اعتقادًا تهيئ لنفسها بنية حصينة مثل تلك البنية التي يحصنها المتكلم من النقد والمعارضة. من ثم، كان تبليغ إيرين معتقدها في القضاء والقدر تبليغًا جداليًا متماسكًا inherently disputable، وإن كان ذلك إلى درجة محددة.

لنتأمل أخيرًا مضمون موقف إيرين. ذكرت إيرين أنها تعتقد في القضاء والقدر. والقضاء والقدر مركب ثقافي خاص، ينتج عنه حضور وفاعلية ضئيلة. ولا يمكن فيه التنبؤ بالواقعات الجوهرية (كالحياة والموت) أو تغييرها. وعندما تقع مثل تلك الواقعات events، لا تستطيع أن تكشف

عن صلات قوية أو فعالة – على نحو ظاهر – بالواقعات المحيطة بها. تدعم إيرين معتقدها في القضاء والقدر دعمًا منتظمًا من خلال تجاربها الشخصية. وهذه التجاب صدى معاني القضاء والقدر الظاهرة على البعد الثقافي. في القطعة الأولى من التدليل evidence، تقرر إيرين نتيجتين لحادث سيارة (٤،٥)، وإن لم يكن من حقائق الحادث ذاته ما يمكنه أن يعلل سبب نجاة أحد المارين بحياته وموت الآخر. في القطعة الثانية من التدليل كانت الواقعتان اللتان تكرر وقوعهما من غير علة نوع انتقال إلى ما خططته لزواجها (١١،١٤) وإلى ما كان من وفاة والدها (١٤،١٥). في هذه القطعة الثانية من التدليل، تعرض إيريــن أيضًــا موقفها (١٨، ١٧) مكررة العبارة القالبية formulaic phrase: كان أمرًا فرضته الأقدار (= حم القضاء). إن نقل موقفها نقلاً سياقيًا، مما يساعد على إعادة استحضار مركب القضاء والقدر، على النحو الذي عدّت فيه التجربة الخاصة تدليلاً على اعتقاد أعم.

المجادلة الاعتراضية:

لننتقل الآن من المجادلة البلاغية؛ أي هذا الخطاب الذي يبرر فيه المتكلم موقفًا نزاعيًا، إلى المجادلة الاعتراضية التي هي نوع من التفاعل الذي يخلق فيه التعارض بين المتكلمين استقطابًا مطولاً متبادلاً فيما بينهم على مدى المحادثة. وللإبانة عن بعض المبادئ والفروض العامة في المجادلة الاعتراضية، ولمقارنتها بالمبادئ والفروض العامة في المجادلة البلاغية، سوف نأتي إلى فحص كيفية معارضة المتكلمة ذاتها (إيرين) موقف متكلم آخر. في٢، تناقش إيرين تفكك البناء الأسري السائد، مع صديقها وجارها الأسبق: هنري. وقد شهد هذه المناقشة فردان آخران، كانت مشاركاتهما قليلة الفاعلية في هذه الشريحة من المحادثة، وهما زوجة هنري وأنا:

١ هنري : المعايير مختلفة

٢ لكنني أقول لك... إذا حظى الأب بالاحترام

و...

٤ إيرين : هنري، دعني أسألك سؤالاً.

٥ قلت ذات مرة إن الأمهات يدرن المنزل، أليس كذلك؟

٦ ليكن كذلك، كم أبا! اليوم يشغل وظيفتين.

٧ لأنه لا يستطيع العيش بوظيفة واحدة.

٨ ولذا فهم دائمًا غير متواجدين بالمنزل.

٩ هنري: هذا أمر يؤسف له.

١٠ طيب، هذا هو المجتمع الذي نعيش فيه.

١١ إيرين : لكن زوجي يشغل وظيفة واحدة

١٢ غير أنه غير متواجد الآن بالمنزل

١٣ لم يعد إلى المنزل منذ السابعة والنصف من صباح اليوم

١٤ هنري: إنه يجهد نفسه

١٥ إيرين: أنا التي تدير المنزل أساسًا... نعم

١٦ لأن... من الذي سيديره إذا؟

١٧هنري: في استطاعتك إدارة المنزل... تراقبين... أقصد

تلاحظين...

١٨ إيرين: تعني أنه يستطيع.

١٩ هنري: باستطاعتك إدارة منزل...

٢٠ إيرين: أعني أي وجه من وجوه الإدارة

٢١ هنري: في استطاعتك إدارة منزل والقيام بشئونه، وهو أمر

مهم

٢٢ لكنك لا تستطيعين... فليس في مقدور الرجل أن يقوم

به وحده

٢٣ كما أن أي امرأة ليس في مقدورها أن تقوم بهذه الأعمال وحدها

٢٤ إذا أردت لهذه الإدارة أن تنجح...
٢٥ في معظم الحالات
إيرين/ والتحدي الآخر لا يكمن هنا/
٢٦ هنري: ولكن في معظم الحالات، عندما نضع النسبة المئوية
في اعتبارنا، فإن هذه الطريقة تكفل ضمانات النجاح
أفضل من أي طريقة أخرى.
٢٧ نعم، ولكن لابد يا إيرين أن تضعي في اعتبارك أمرًا بعينه
٢٨ لكن من الصعب أن تجعلي نفسك من هذا الصنف
٢٩ لأن ظروفك مختلفة
٣٠ أنت تعرفين أنك مررت بـــ... لقد مررت بظروف مختلفة
٣١ لكي تتكيفي مع ظروفك
٣٢ فأنت تعرفين أن هناك أشياء كثيرة توجب أن نتكيف معها
٣٣ كما أن كلاً منكما يجهد نفسه في العمل
٣٤ لكن الأمر يسير على هذا المنوال دائمًا
٣٥ فهناك مردود لهذا الجهد
٣٦ فالظروف سوف تتغير حتمًا
٣٧ إيرين: لكنه لم يكن في وسعي أبدًا
٣٨ هنري: لكن مازال لكما بنيان عائلي

على رغم موافقة كل من إيرين وهنري على أن التفكك الأسري شئ يؤسف له، فإنهما لم يتفقا على سببه. في الجزء من هذه المجادلة الذي يسبق٢، كان موقف هنري هو أن أحد الأسباب نقصان سلطة الأب. وقد عبر عن هذا العامل بطرق متنوعة (ومثال ذلك اضمحلال سيادة الآباء وصيرورة إدارة البيوت إلى الأمهات)، كما عبر عن نتيجة بطرق متنوعة أيضًا (مثال ذلك: الأولاد يلعبون الهوكي).

وفي الجزء٢ من هذه المجادلة، تعارض إيرين هنري بأن تجادله في أن العلاقة بين السبب والنتيجة مما لا يمسك به دائمًا، وأن هذا العامل

المتسبب ليست له دائمًا هذه النتيجة الإيجابية. وفي الجزء الأخير (الذي لم تضمه المجادلة هنا)، تبين إيرين أن قيام العامل المتسبب لا يؤدي دائمًا إلى نتيجة إيجابية. ومن هنا تكشف عن أن ما يقدمه هنري على أنه علة التفكك الأسري، ليس شرطًا ضروريًا ولا كافيًا.

تبدأ إيرين دورتها من السطر ٤ بمقاطعة هنري الذي طفق يكرر شرط الاستقرار الأسري. وبعد أن تخاطبه إيرين باسمه، يصوغ خطابها اللاحق في هيئة سؤال. ولنتذكر أن إيرين في مجادلتها البلاغية قد افتتحت دورتها على نحو يحدد الدور الذي تلعبه هذه الدورة في المحادثة، بأنه استجابة لالتماس استعلام سابق. ويساعد الافتتاح في٤ أيضًا في تحديد الحركة الحوارية التي تضطلع بها في الخطاب اللاحق. وطبيعي أن الفرق بين الحالين هو أن ما يأتي لاحقًا ليس استجابة تعاونية cooperative response، ولكنه معارضة.

على أي حال، فإن معارضة إيرين ليست موجهة إلى الحركة المعينة التي قاطعتها لتوها. بناء على ذلك، تعود إلى إعادة تركيز المحادثة في ٥ على المسألة السابقة التي توجه إليها الآن معارضتها. إن العبارة اللغوية الواصفة metalinguistic phrase: قلت ذات مرة، وتذييل الجملة الأخيرة بـــ: أليس كذلك؟، مما يعطي هنري فرصة العودة إلى تركيز انتباهه على تلك المسألة (انظر: شفرين ١٩٨٠). ويساعد التذييل أيضًا في أن يؤمن لإيرين دورتها في المحادثة حتى تواصل جدالها المضاد. على رغم هذه الحركة التنافسية competitive move في أخذ الدورة، تحتاج إيرين إلى شئ من التعاون من جانب هنري – بأن يمنحها الدور على الأقل – حتى تجعل لمعارضتها موقفًا مناسبًا. وعندما يسمح هنري لإيرين بأن تأخذ دورها، ويسلم لها مقود توجيه منظورها، يكون قد جعل نفسه مفيدًا حقا في عمل الهجوم.

تيسر إيرين لهجومها الخاص طريق التظاهر الطقوسي بالتعاون: تقدم منطوقها التالي في٦ب: ليكن كذلك، التي هي علامة على الموافقة أو

القبول. وتعد الرغبة في التعرف على وجهة نظر الآخر قبل مهاجمتها أمرًا متكررًا في المجادلة، حتى يختزل فيها غالبًا الدليل على الموافقة إلى أصغر صورة، ولا يبين فيها المتكلم إلا عن وعيه بالحاجة إلى عرض تعاونه، كما في: "نعم ولكن" التي تسبق المعارضة (انظر أيضًا بوميرانتز Pomerantz ١٩٧٥).

يتجاوز التعاون الضمني بين إيرين وهنري استراتيجية أخذ الدور وعلامات الخطاب التي تفتح الطريق لمعارضة إيرين. بعد أن فحصنا التنظيم الداخلي لمعارضة إيرين ورأينا الوسائل الإضافية التي تجعل المجادلة اعتراضية مماثلة في تنظيمها للمجادلة البلاغية، نرى أن معارضة إيرين تعتمد على التظاهر بالتعاون.

في السطور من ٦–١٦ تدعم إيرين موقفها الذي يعارض موقف هنري بإيجاد الأسباب (في١١–١٣) التي دعتها – في عائلتها الخاصة – إلى أن تدير هي البيت (١٥). وتقدم تلك الأسباب أيضًا تدليلاً شخصيًا يدعم وجهة نظرها الأعم في الأوضاع المؤثرة في دور الأب في الأسرة (٦–٨)، كما يدعم التأثير الأعم لمثل تلك الأوضاع، لاسيما تأثيرها في كون الأمهات هن اللاتي يدرن البيت (١٦). وعلى النحو الذي رأيناه في المجادلة البلاغية، يعرض الموقف العام في المجادلة على حدودها الخارجية. من هنا نرى ثانية أن تكرار معارضة عامة على حافة الموقف يساعد في تثبيته على أنه الموقف الرئيس في المجادلة.

كيف أثبتت إيرين حالة شخصية بعينها تدليلاً على وجهة نظرها الأعم؟ في مناقشتنا المجادلة البلاغية، رأينا أن الإجابات التي ترددت عن معنى القضاء والقدر في تجربتين شخصيتين، قد ساعدت في إرساء تلك التجارب بوصفها تدليلاً as evidence. وفي هذه المجادلة الاعتراضية، صاغت إيرين تجربتها الشخصية في هيئة سؤالين، تصدر أولهما التجربة، وصقل الآخر هذه التجربة حتى صارت تدليلاً مقصودًا إليه intended evidence.

قدمت إيرين لتجربتها الشخصية أولاً بسؤال (في٦–٨)، يهيئ سياقًا خطابيًا يمكن أن يسمع فيه منطوقها التالي على نحو محدد تحديدًا خاصًا؛ فعلى الرغم من أن إيرين تسأل عن الآباء الذي يجهدون أنفسهم في العمل ولا علاقة لهم مطلقاً بالبيت، فإنها – في واقع الأمر – لا تلتمس من مستمعها أن يزودها بمعلومات عن تلك الأشياء. إن سؤالها ليس إلا تصديرًا لمنطوقها التالي: إنه يتيح ثغرة في الخطاب الذي يمكن فيه أن تقحم وصفاً لزوجها بما هو حالة للأب الذي يجهد نفسه في عمله ولا صلة له بالبيت أبدًا (١١–١٣)، ومن هنا سوف تفهم حالتها على أنها تدليل على تعميم وجهة نظرها تجاه الآباء.

من ناحية ثانية، تتخذ إيرين من نتيجة تجربتها الشخصية وسيلة للإجابة الصريحة عن سؤالها (في١٦). ولما كانت إيرين قد بينت لتوها – بتجربتها الخاصة – أن الآباء لا يقدرون على إدارة البيت؛ لأنهم غير متواجدين به، فإن الخيار الوحيد الذي يبقى إجابة عن سؤالها هو (الأمهات). بناء على ذلك، فإن سؤال إيرين موضوع من قبل في مجال ضيق من الخيارات، حتى تختار فيه عادة إجابتها عن هذا السؤال. يمكننا – بالتقليب في تلك الملحوظات – أن نرى أن السؤال في١٦– بالنظر إلى ما سلف – بصقل تجربة إيرين الشخصية دليلاً يبرز استنتاجها الأعم أن علة إدارة الأمهات لشئون المنزل، هي أنهن لا يجدن خيارًا آخر. يبرهن هذا التدليل على معارضتها هنري.

كيف يصوغ المتكلمون مزاعمهم تجاه تعاون المستمع بالنظر إلى معارضة إيرين؟. لنتذكر أن إيرين قد أثبتت بالحجة أن نقصان سلطة الآباء (مما جعل الأمهات يدرن شئون المنزل) ليس دائمًا علة التفكك الأسري. إن ما فعلته في معارضتها هو هجومها المفاجئ على أسرتها من حيث هي مثال مضاد للحالة الموصوفة. ولكن الذي لم تقله، هو أن أسرتها مستقرة ومتكاملة تكاملاً حسناً. والأحرى أن تسلم بهذا الزعم جدلاً (انظر أيضًا)، وسواء أكان هنري يعارض الموقف العام مستندًا إلى مثال إيرين،

أم يعارض مثالها ذاته، فإن صحة هذا الزعم عرضة للهجوم. وسوف تهدد مثل هذه المعارضة الزعم بأن أسرة إيرين مستقرة، وبأن إيرين – اتصالا بذلك – أم كفء. ولأن إيرين لا تستطيع أن تأمن أن يعرض بها هنري علانية في معارضة فجة؛ فقد تحمله على نوع من التراجع عن موقفه الخاص، بل ستكرهه – في واقع الأمر – على أن يخاير بين أن يقدم نفسه على أنه متناقض أو أن يحط هو من شخصها علانية (٥). من ثم، يمكن أن تجري إيرين معارضتها في إحكام؛ لأنها تستطيع أن تعتمد على رغبة هنري في تجنب الجهر بالإساءة؛ لما تجلبه مثل هذه الإساءات على تعريفه بأخلاقهن. هذا التعريف الذي يشترك في إرسائه الطرفان وهما – بناء على ذلك – يشتركان في إدراكه أيضًا.

الخلاصة:

رأينا أن المجادلة جنس من الخطاب يدعم فيه الأفراد مواقف نزاعية قابلة للجدل. في البدء بالمجادلة البلاغية استطعنا أن نكشف عن بعض الأسس والفروض التنظيمية organizational principles and assumptions التي يستند إليها هذا الجنس. استطعنا عند ذاك أن نرى أن كلام الشخصين لا يوجه – عندما يجادل أحدهما الآخر في موقفه في المجادلة الاعتراضية – لا يوجه إلى إبداء وجهة نظر كل منهما فحسب، ولكنه يوجه أيضًا إلى معارضة وجهات نظر مخاطبه. يعني هذا التوجه المزدوج أن المجادلة البلاغية تختلف عن المجادلة الاعتراضية على رغم اشتراكهما في بعض الخواص الخطابية. ويقوي التوازن بين المنافسة والتعاون في المجادلة الاعتراضية خطاب كل شخص منهما في مداولة متصلة بينهما للمعاني الإشارية والاجتماعية والتعبيرية. وأقترح – من خلال توصيفات مفصلة لمثل تلك الإجراءات – أن نشرع في تلمس بعض مظاهر المجادلة المحيرة على نحو أكثر نفعًا؛ كأن نحظى بتفهم علة بلوغ مجادلات قليلة درجة التحلل.

شكر:

أسهم كثير من الناس إسهامًا مباشرًا أو غير مباشر في الأفكار التي اشتمل عليها هذا البحث. أشكر على وجه الخصوص إرفينج جوفمان Erving Goffman، ووليم لابوف William Labov، وجيليان سانكوف Gillian Sankoff، ولويس سكافو Louis Scavo.

المراجع

- Aristotle (1954). Rhetoric (W.R.Roberts, Trans), New York: Modern Library.
- Bloch, M. (1975) Political language and oratory in traditional society, New York: Academic Press.
- Boggs. S. (1978) The development of verbal disputing in part-Hawaiian children. Language in society v (3). 325-344.
- Brenneis. D. (1978) The matter of talk: Political preformances in Bhatgon. Language in society. V (2). 159-170
- Brenneis. D. & Lein. L. (1978) You fruithead: A sociolinguistic approach to children's dispute settlement in S Ervin-Tripp & C. Mitchell-Kerman (Eds.) Child discourse (pp. 49-66) New York: Academic Press.
- Geach. P. (1976) Reason and argumentl Berkeley: University of California Press.
- Goodwin. M. (1980) He said/she said: Formal cultural procedures for the construction of a gossip dispute activity. American Ethnologist. v. 674-694
- Foegelin.R. (1978) Understanding arguments. New York: Harcourt Brace.
- Hamblin.C. (1970) Fallacies. Lindon: Methuen.
- Kahane.D. (1976) Logic and contemporary rhetoric. Belmont. CA: Wadsworth.
- Kummer.i.. & Kummer. W. (1976) Logic of action and practical arguments in T. van Dijk (Ed) pragmatics of language and literature (pp. 83-106) Amesterdam: Morth Holland.
- Labov.W. (1972) The Transformation of experience in narrative syntax in W. Labov. Language in the inner city (pp. 354-396). Philadephia: University of Pennsylvania Press.

- Lein.L. & Brenneis.D. (1978) Children’s disputes in three speech communities. Language in Socity. V 299-324
- Perelmam.C:& Olbrechts-Tyteca. L. (1969) the new rhetoric: A tretise on argumentation. London: University of Notre Dame Press.
- Polanyi.L. (1979) So What’s the Point? Semiotica 25. 207-242
- Pomerantz.A. (1975). Second assessments: A study of some features of agreements. Disagreements. Unpublished doctoral dissertation. University of California at lrvine.
- Quasthoff.U. (1978). The uses of stereotype in everyday argument. Gournal of Pragmatics. 21-48.
- Rose.D (1974). A public argument in an Afro-American urban locale. New York: Mss Modular publications.
- Sacks.H (1972). An initial invesigation of the usability of conversationa data for doing. Sociology in D. Subnow (Ed.) Studies in social interaction (PP. 31-74) New York: Free press.
- Schiffrin.E. (1980) Preliminaries to preliminaries: Can I ask you question? In D.Zimmerman& C. West (Eds.) language and social interaction (Special issue) Sociological Inquiry. 50(3/4) 104-152.
- Schiffrin.D. (1980) Meta-talk: Organizational and evaluative brackets in discourse in B. Zimmerman & C. West (Eds.) Language and social interaction (special issue). Sociological Inquiry 50 (3/4) 199-236.
- Schiffrin.D. (1981 A) Tense variation in narrative Lnguage 57. 45-62
- Schiffrin.D. (1981 b) Cohesion in everday discourse: The role of paraphrase paper presented at the meeting of the Linguistic Socity of America, New York.
- Schiffrin.D. (Forthcoming) Discourse markers, Cambridge: Cambridge University press.
- Seribner S. (1979) Modes of thinking and ways of speaking: Culture and logic reconsidered in R. Freedle (Ed.) New directions in discourse processes (Vol. 2) (pp. 223-244) Norwood NG: Ablex.
- Toulmin.S. (1958) The uses of argument. Cambridge: Cambridge University Press.
- Weiner.J. (1979) The Structure of Natural Explanation (SP 4035) System York.

نموذج المجادلة من البلاغة العربية
رؤى في نظرية أنماط النص
باسل حاتم

نموذج المجادلة من البلاغة العربية

رؤى في نظرية أنماط النص

باسل حاتم(*)

مدخل:

في بحث سابق(١) ناقشت المجادلة Argumentation نمطا نصيًا، ورأيت أن استعمالها في الإقناع كانت له خصوصية ثقافية. ترتبط المجادلة – مميزة عن العرض المجرد detached Exposition – ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتأدب وحفظ ماء الوجه، وما يتصل بذلك من ظواهر لغوية اجتماعية أخرى. يساعد هذا في تفسير ميل بعض اللغات والثقافات إلى تبني أسلوب في المجادلة أكثر مباشرة. ومثال ذلك أن اللغة العربية المعيارية المعاصرة تكشف عن تفصيل خاص لشكل من المجادلة، يدافع فيه المجادل عن موقف بعينه أو يستنكره. وينتج عن ذلك ألا يبدي المجادل قبولاً مباشرًا بما يرحب به الخصم من معتقد. هذا الشكل الأخير؛ أي هذا النهج الذي يقوم على مجادلة ضدية صريحة صراحة أشد، هو الشكل الذي تفضله – على نحو خاص – لغات كالإنجليزية.

على أي حال، فمن الخطأ الزعم بأن المجادلة المضادة Counter Argumentation تباين نظام العربية البلاغي مباينة كلية. إن هدفي في هذا البحث هو البرهنة على هذه الدعوى، وذلك بفحص نموذج المجادلة الذي رسمه البلاغيون في كتاب "نقد النثر"(٢). وهدف هذا البحث الأخص، هو تقديم وصف مقارن للمجادلة في حدود توصيفها في مرحلة بعينها من مراحل تطور اللغة العربية والبلاغة العربية من ناحية، وفي حدود ما نجده الآن حقا في كيفية استعمال العربية من الناحية الأخرى. والمقارنة

(*) Hatim. B. (1990): A Model of Argumentation from Arahic Rhetoric: Insights for a Theory of Text Types. (1) British Society for Middle Eastern Studies. Bultin. 17. 1: 47-54

تنير العقل. في مجال الدرس البلاغي، نظر العلماء – عن حق – إلى العصر العباسي الذي كتب فيه كتاب "نقد النثر"، على أنه عصر الاستنارة الذي ازدهرت فيه عملية التلاقح بين الثقافات. على العكس من ذلك، تبدو صورة العربية المعيارية المعاصرة أشد قتامة. يرجع هذا إلى تأثير عدد من العوامل القسرية متضمنة عوامل سياسية اجتماعية؛ كالموقف من الحقيقة، وحرية الكلمة ونحوها.

في محاولة المقارنة بين أفكار العصور الوسطى وتطبيقاتها في العصور الحديثة، سأعمد إلى تحديد تعاملي مع الاستعمال الراهن للعربية، بأشكال من الأداء، من طراز المترجمات والكتابة الأكاديمية باللغة الإنجليزية. وفي تحليل هذا الصنف من التنوع اللغوي Language Variety تحليلاً فعليًا، ستصبح بؤرتي أضيق، حتى تركز على تلك الحالات من الفشل الاتصالي Communicative Breakdown التي نتجت مباشرة – من خلال تجربتي – عن الخرق أو عدم المناسبة النصية Textual Ineptitude التي ينبغي أن يلقى فيها باللوم على نظام تعليمي فقد الوعي والإحساس بتقاليد بلاغية ثرية.

مستقبل النص في البلاغة العربية القديمة:

كان البلاغيون العرب (مثل السكاكي ت ٦٢٦هـ)[٣]– وهم ورثة تقليد غني هو دراسة النص في السياق – كانوا سباقين إلى ملاحظة العلاقة الشرعية بين درجة التقويم degree of evaluation التي يصبغ بها منتج النص منطوقه والتي يخلعها على مستقبل النص، في حدود استعداده لتقبل القضايا المطروحة أو رفضها. ونحدد هنا ثلاثة أنماط خاصة للسياق هي:

(١) المنطوقات الموجهة إلى "منكر": وينبغي لها أن تكون منطوقات تقويمية evaluative على أقصى حد (من خلال التوكيد وغيره) وتعتمد درجة التقويمية على الدرجة التي يظهرها المنكر.

(٢) المنطوقات الموجهة إلى "متردد" وينبغي لها أن تكون تقويمية. وتعتمد درجة التقويمية – مرة أخرى – على الدرجة التي يظهرها غير المتيقن أو المتردد.

(٣) المنطوقات الموجهة إلى "خالي الذهن": وينبغي لها أن تكون منطوقات غير تقويمية unevaluative.

نجد هنا متوالية من الخطاب التقويمي العالي في طرف والخطاب الأدنى تقويمية في طرف آخر. ويصف النوع "متردد" الحالات الواقعة بين هذين النوعين. ولنجعل – في حدود نموذجنا اللغوي لأنماط النص – "المنكرين" و"المترددين" (نوعًا ما) لنجعلهم سواسية في التعامل مع النصوص التي تظهر درجات متنوعة من التقويمية، من خلال أشكال متنوعة من المجادلة. من ناحية أخرى، يتعامل "خالي الذهن" مع نصوص ترسم وصفاً أو سردًا أو تفسيرًا، على نحو موضوعي، من خلال أشكال متنوعة للعرض presentation(٤).

نموذج المجادلة في كتاب "نقد النثر":

بنى اللغويون المتأخرون على تلك التحليلات الواعية لمستقبل النص، وطوروا ما يمكن أن يجتذب أنظارنا بمعايير اليوم ذاتها على أنها نظريات متنوعة في نمط النص. ولكن من بين المصادر التي أوحت بمثل هذا العمل في فن المجادلة عمل أقدم، هو العمل المسمى باسم "نقد النثر". وربما كان كتاب "فن البلاغة" لأرسطو(٥) هو صاحب التأثير الأهم في فكر مؤلفه. لقد فهم قدامة فكر أرسطو وطبقه على الشعر العربي. ومن ثم تبنى قدامة محاولة من أقدم المحاولات عند البلاغيين العرب في ربط النص بالسياق، وجعل المطابقة بين منطوق المتكلم وسياقه النّصي أمرًا ضروريًا. صارت البلاغة "إنتاج المنطوقات إنتاجًا يضع المعاني المقصودة عبر اختيار صيغ التعبير الأكثر تأثيرًا والمرتبة ترتيبًا نظاميًا والفصيحة فصاحة لغوية" (٦).

ولكن مؤلف "نقد النثر" لم يبق أبدًا أسير النموذج الأرسطي. لقد استخدم في عمله عن المجادلة – مثلاً – مبادئ عامة تناظر ما طرحه الخطباء وعلماء الدين المسلمون مستمدة استمدادًا قويًا من القرآن والحديث ومن أعمال كثير من الفلاسفة وكتاب الدواوين. لقد طمحت البلاغة الجديدة إلى وصف ما يصنع الخطيب الحق أوالكاتب الحق أو الشاعر الحق: وضوح التفكير، وفصاحة الكلام، والقدرة على التعبير عما يجول في عقله وقلبه تعبيرًا مونقًا مختصرًا. وكان مما بحثه قدامة أيضًا وسائل التعبير والإلقاء الأقوى تأثيرًا، وإن كانت معظم تلك الآراء – على نحو ما بين طه حسين في دراسته "تمهيد في البيان العربي" – قد ضرب عنها كتاب الدواوين صفحًا، هؤلاء الكتاب الذين لم يثبتوا فيما كتبوا على الطريقة التي اتبعوها دائمًا(٧).

وفقًا لكتاب "نقد النثر" الذي اقتبس منه اقتباسًا واسعًا في هذا الجزء، تعد المجادلة نمطًا من الخطاب الذي يقصد إلى إقامة الحجة لتقرير الاختلافات في المعتقد بين أولئك الذين يشتبكون في جدل. تستخدم المجادلة في المذاهب الفكرية والمحاجات الدينية والإجراءات القانونية (في النزاعات والمرافعات). وتقع المجادلة في كل من النثر والشعر. وتنقسم المجادلة إلى مجادلة محمودة ومجادلة مذمومة. يقصد النوع الأول إلى تأييد ما هو صحيح وقائم على الحق. أما النمط الثاني – من الناحية الأخرى – فهو ما يراد به المماراة وطلب السمعة(٨).

ليست هذه هي الحال مع العرض (أو "البحث"). يبنى العرض الصحيح مقدماته المنطقية على ما هو آلف مباشرة لعقل المؤول؛ لأنه ينشد الحقيقة ويقصد إلى غاية التبيين والبيان، غير ملتفت إلى موافقة خصمه(٩). وربما كان من النافع في هذه المرحلة أن ننظر إلى اقتراحات "نقد النثر" التي تتصل بالمجادلة في حدود نموذجنا عن أنماط النص، على نحو ما أوجزناه في المدخل.

تبدأ نصوص العرض expository بجملة محورية وظيفتها تركيز المشهد. تعرض جوانب المشهد إذن دون تقويم unevaluatively. هدف مثل هذه النصوص هو تحليل التصورات، والحكي، والوصف، وربما الجمع بين هذه الأهداف التواصلية الثلاثة. من الناحية الأخرى، تنطلق المجادلة بمركب نغمي Tone-Setter وظيفته عرض موضوع الجدال عرضًا تقويميًا. يهدف العرض – بمصطلح علم لغة النص المعاصر – إلى التنبيه إلى الموقف. وتهدف المجادلة إلى ربط مستخدم النص بالموقف، حتى يسوسه على المنحى الذي يوافق مقاصد منتج النص(١٠).

بلاغة دفع الدعوى:

مهما يكن من أمر، فإن نواة نموذج المجادلة في "نقد النثر"، هو تحليل بلاغة دفع الدعوى Rhetoric of Rebuttal، والتي تسمى باسم "الجدل والمجادلة"، أو ما اصطلحنا على تسميته بـــ "المجادلة المضادة Counter-Argumentation". ويمكن أن يتضح هذا من اللغة الإنجليزية من خلال نص كالآتي:

نص أ:

نص حكم كاهان وملابساته:

يعزى كثير من الفضل إلى دولة إسرائيل لما اتسم به حكم لجنة كاهان للتحقيق من قوة وصراحة ما انتهت إليه من أحكام. فليست هناك دولة أخرى في الشرق الأوسط ولا في دول أخرى عدة خارج هذه المنطقة، يمكن أن تخضع حكامها لمساءلة من مثل هذا النوع. ففي لبنان (التي ارتكبت فيها المذابح على أيدي مواطنيها) لم يتوصل في تحقيق مماثل إلى نتائج ملموسة. غير أن الفضل يعود إلى الدولة، وليس إلى الحكومة التي رفضت بادئ ذي بدء التحقيق. حتى لا تفضح ضلوعها في المذابح. (المقال الافتتاحي لجريدة الجارديان).

يصنع ما أعلنه أحد المعارضين (مكتوبًا بالخط المعتاد) والمعارضة التي تلت إعلانه (مكتوبة بخط ثقيل)، يصنعان الوسيلة في المجادلة المضادة التي يجيدها المتجادلون في التقليد البلاغي الغربي (والتي تعرف باسم لعبة الولاء الكاذب Strawman Gambit). على أي حال، فهذه منطقة صماء لمستخدم الإنجليزية العربي. ولبيان المشكلة من خلال حقل تدريب المترجمين الذي أنا مستغرق فيه، دعنا نتأمل النص " أ " السابق. كان من إساءة الحكم على قوة الدفع الرئيسة التي تدفع المجادلة المضادة في النص، أن غالبية مجموعة العرب المتدربين على الترجمة من الخريجين، قد أخفقوا في المفهوم المفتاح "غير أن"، وأنتجوا ترجمة معيبة عيبًا خطيرًا، ذكر فيها أن الفضل يعزى – عن استحقاق – إلى إسرائيل...إلخ؛ أي أنها مقالة افتتاحية مساندة لشارون وليست ضده!

الغرض من هذه الطرفة التعليمية هو التمهيد لنظرية "نقد النثر" في المجادلة المضادة، التي تعدّ المحاولة الرائدة في التعرف على استعمال هذه الاستراتيجية الجدالية ومناقشتها وتوصيفها. يصف المؤلف المجادلة في الحدود التالية:

"المجادلة الحقيقية هي التي تبنى مقدماتها المنطقية على ما يوافق عليه الخصم. المجادلة أعظم أثرًا في إلزام الخصم الدليل من قوله الخاص". بعبارة أخرى، لما كان قصد المجادلة هو أن يقود خصمه إلى قبول الدليل المطروح، فإن عرض الدليل الذي يؤخذ من قول الخصم نفسه، سوف يصبح – على نحو مؤكد – الطريقة الأعظم تأثيرًا في إنجاز غايات المجادل(١١). في بيان استخدام هذه الوسيلة، يستشهد المؤلف بقوله تعالى: "**كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّل التوراة، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**" (١٢).

في "نقد النثر" شرحت هذه الآيات هكذا:

"جادل الله الخصوم بذكر كتابهم الذي يقرون به والذي يتضمن هو نفسه انتقادات لما يجادلون فيه" (١٣).

يعني المؤلف بالإشارة إلى أن ذكر كلام الخصم، ليس يخلو جملة من دوافع خفية: فمنتج النص يذكر كلام خصمه على نحو لا يفضح اعتقاده الراسخ فضحًا شديدًا، حتى يجعل دفاع الخصم اللاحق عن موضوعه غير مؤثر. من ثم يعرض محتوى الاقتباس من قوله في جو من الرفض المراوغ، حتى يفضح ثرثرته الفكرية، وينشر حوله حلقة من الغموض. بعبارة قدامة: "المجادلة أعظم تأثيرًا في إلزام الخصم الحجة من قوله، حتى وإن لم يكن هذا في نهاية الظهور للعقل"(١٤).

إن هذا لهو الإدراك الأقوم لغموض الكيفية التي يستند بها إلى قول الخصم من غير أن تسلم به أيضًا. وهذا ماعرفه البلاغيون العرب القدماء وحللوه تحليلاً واضحًا. وهذه هي العلامة التي تدمغ المجادلة المضادة في لغات مثل الإنجليزية، وهي – على النحو الذي أبان عنه النص " أ " آنفاً – الزُّبية Pitfall عند كثير من مستخدمي العربية المعيارية المعاصرة.

العلة في المجادلة:

من الوجوه الأخرى لنموذج المجادلة في "نقد النثر" ما يسمى بالعلة. والعلة مفهوم سوف أبقي عليه في كتابته كتابة صوتية، وأعرفه هنا بأنه "البرهان المدعم تدعيمًا منطقيًا". وربما كان من المفيد – قبل أن نشغل أنفسنا بالتفاصيل المكونة لمفهوم العلة – أن نقارنه بالفكرة الأرسطية المألوفة عن "القياس المنطقي Syllogism": والقياس المنطقي بنية ثلاثية العناصر. يتوصل إلى صحة النتيجة فيها (مثل: سقراط ميت) من خلال مجاورتها المقدمة المنطقية الكبرى (كل الناس ميتون) والمقدمة المنطقية الصغرى (سقراط إنسان). استخدمت كوتش Koch (بعد تولمين Toulmin)(١٥) القياس المنطقي ثلاثي العناصر، في هيئة الاصطلاحات: (المعطيات Data) التي تناظر المقدمة الصغرى (مثل: السماء تثلج)؛ و"الدعوى Claim" التي تناظر النتيجة ("إذن ربما يصل ضيوفنا متأخرين")؛ و"العلة Reason" التي تناظر المقدمة الكبرى ("لأن الناس يتأخرون غالبًا عندما تثلج").

بناء على ذلك، يمكن أن تفهم "العلة" في "نقد النثر" في حدود ذلك العنصر من القياس المنطقي الذي يضم "العلل Reasons" و"علل العلل Reasons for Reasons"حتى نبلغ النقطة التي لا توجد عندها علل أخرى.

لأداة الاستفهام "لم" عند قدامة، مكانة عزيزة بين أدوات الاستفهام الأخرى. تستمد المجادلة صحتها من "العلة"[١٦]. ويلتزم منتج النص بأن يقدم العلل (وعلل العلل إذا اضطر) تلك التي صنعت إخباره من قبل. إذا كف مثل هذا الالتزام عن الظهور، فلا ضرورة بعد للإثبات بالحجة Substantiation. على أي حال، فإن العجز عن ملاحظة تلك المبادئ العامة لن يفضي إلا إلى مجادلة معيبة.

ويكمل قدامة:

"يقع طلب العلة على أحد وجهين: إما أن تطلبها وأنت لا تعلمها لتعلمها، وإما أن تطلبها وأنت تعلمها ليُقرّ لك بها. ولكن في كلتا الحالين، ليس لك أن تجادل أحدًا في شئ يدعيه إلا بعد أن تسأله عن العلة فيما ادعاه فيه. فإذا كان علمك بعلته ناشئًا عن مذهبه أو عقيدته، فالأحوط أن تقرره بالدليل على ذلك (أعني على مذهبه) حتى لا يتنصل عن بعض ما ينتحله أهل مذهبه أثناء جدله، معلنًا أنه يخالفهم فيها، فإذا أمنت منه تلك الحالات، فليس لك أن تسأله حتى وإن لم تقرره بعلة دعواه.

ونوعان آخران من الناس لا يلزمك منهما سؤال، ولا يجب عليك لهما جواب عن علة دعواك:

(١) شخص يسأل عن علة دعواك فتخبره بها. وبعد ذلك يطالبك بعلة للعلة. لا يلزمك هذا جوابًا، فسؤاله باطل؛ وذلك أنه يدوم في مطالبته بعلة للعلة إلى ما لا نهاية.

(٢) وشخص يريد مناقضتك في أسس دعواك، من غير أن يجعل أسسًا لما ناقضك فيه[١٧].

أنماط العلل ووجوهها:

يمضي مؤلف "نقد النثر" إلى تحليل الأنماط والوجوه المتنوعة للعلل على النحو التالي:

""يمكن التمييز بين نمطين اثنين للعلة، قريبة Intimate وبعيدة Remote. ترتبط العلة القريبة بالشخص الذي يستخدمها، أما العلة البعيدة فما كان بينها وبينه غيره(١٨).

وللعلل وجوه عدة:

(١) الاعتبار Status: فإذا كانت العلة ثابتة في محتواها الإعلامي Informational Content، كانت صحيحة، فإذا لم تكن كذلك، فليست بصحيحة.

(٢) العلة المانعة Exclusivity: فالعلة التي تثبت أن شيئًا ما صحيح. ينبغي لها أن تثبت بطلان ضده.

(٣) الاجتماع Integrity: وذلك أن موضوع العلة إذا كان قائمًا على اجتماع شيئين أو أكثر، لا تجب العلة مع انفراد أحد تلك الأشياء بها. بعبارة أخرى: لا يمكن أن تنتج العلة عن شئ مفرد، ما دام كل شئ مفرد لا يكفي في ذاته.

(٤) الخلو من الخطأ Infallibility: فإذا كانت العلة مأخوذة مما يوافق الخصم عليه، فهي إذن خالية من الخطأ. وإذا كانت العلة – من ناحية أخرى – مأخوذة مما يخالف فيه الخصم، فلا يمكن أن تحتج عليه بها إلا بعد أن تعلمه أن هذه العلة مأخوذة مما يخالف فيه. وكذلك لا سبيل للمجادلين إلى تصحيح العلة إلا بعد أن يصححوا المقدمات المنطقية التي أوجدوها.

(٥) قابلية الجدل Contestability: فالجدل في العلة ماض في كل ما يخالفك فيه خصمك، فإذا انتهيت إلى ذلك الشئ الذي يوافقك عليه الخصم، فليس لك أن تجادله فيها، وإلا كنت مجادلاً نفسك. على أي حال، فإن لك

أن تجادل في العلة، في تلك المواقف التي ترمي فيها إلى أن تقرره بها، ثم تأخذ الخصم بإهمالها، حكمه حكم ما وافقك فيه.

(٦) قابلية المعارضة Opposability: فالمعارضة في الجدل صحيحة، وإن كان بعضهم يرفضها على أساس عدم جدواها. على أي حال، فحقيقة الأمر ليست على ما يظنون. والمعارضة ها هنا هي المقابلة بالمثل Reciprocity. ومن المناسب أن تقابل بين مسألتين وعلتيهما، ثم تطلب من خصمك أن يحكم لإحداهما على أساس ما توجيه العلة في نظيره. وكل زيادة في المسألة (أو المقدمة المنطقية) أو العلة التي من جنس المسألة، فليست بخارجة عنها. وأما ما يخالف معنى المسألة أو العلة، فهو خروج وتخليط[١٩].

المناقشة والنتائج:

في الرد ادعاء ادعاه شخص ما، بأن س (بلد عربي ما) لا حرية فيه، أثير جدل حول مرتكزات النظام العربية الملتزمة في ذلك البلد المعين على نحو ما في السطور التالية:

النص ب:

ليس س١ (ذلك البلد) ملكا لـــ ص (قائده). إنه ملك الشعب؛ لأن الشعب هو الذي ملكه من هو خادم له ومن لا يريد له إلا الخير.

وفقًا لكوتش Koch التي حللت نصًا مماثلاً للنص السابق – بصرف النظر عن قوة هذه المماثلة أو ضعفها – نرى أن الجدل في النص ب ينتهي إلى هذه النتيجة (س ليس ملكًا لـــ ص)، وذلك من خلال مجاورته المقدمة المنطقية الصغرى (ملّك الشعبُ البلدَ لـــ ص) والمقدمة المنطقية الكبرى (إذا وضع الشعب نفسه تحت حكم إنسان، فقد دل بذلك على أنه شعب حر). تلاحظ كوتش Koch أن الدعوى Claim (= النتيجة Conclusion) والمعطيات Datum (=المقدمة المنطقية الصغرى Minor Premise مترابطة من خلال مفهوم الحرية الذي لا نألفه على هذا النحو في

الغرب). الصعوبة التي تواجهنا في هذه الفكرة هي: ما الذي يجعل من الغريب أن نسمع المبادئ المقررة في الكتلة الشرقية وهي تدعي أن دولها دول حرة، وأن فكرة الحرية تحتل عندها قلب الجدل في الطقوس الدينية والبرامج المضادة؟[٢٠].

الأمر طيب إلى هذا الحد، ولكن يبدو أن كوتش وثلة من الآخرين الذين يكتبون في البلاغة التقابلية Contrastive Rhetoric[٢١] يدلون دائما على أن هذا النوع من التعليل الذى لا يتوازن جانباه Lopsided Reasoning مميز للعقل العربي، وأنه – في النهاية – قابل للتفسير في حدود اللسان العربي الذي يتسم بالغموض الفكري Ideational Vagueness والصرامة الشكلانية Formalistic Regidity، والذي يعمل فيه الإقناع عمله الجمالي (أي يعمل عمله بالعرض Presentation لا بالبرهان Proof)... الخ.

ويندر – إن لم ينعدم – أن نصادف لومًا يلحق بذلك الذي ينبغي له أن يكون عليه اللوم: أعني مستخدم اللغة غير الكفء Incompetent Language User. إن أنواع الفشل الاتصالي التي أبانت عنها النصوص أ و ب آنفاً، هي – على غاية الدقة – الأنواع التي تساعدنا في تفاديها قراءة كتاب مثل "نقد النثر" قراءة فاحصة. في هذاالكتاب، يظهر جليًا تشريح المجادلة المضادة، وربما كانت نظرية العلة من أقوى تحليلات عملية التعليل سفسطة منذ أرسطو.

ولا جرم أن ما رأيناه الآن يعد حالة من الحالات التي يكون فيها وضع المصادر النصية Textual Resources في موضع بعينه عملاً فارغاً من القيمة إلى حد ما. إن نصوص المجادلة من النمط الذي بينه النص أ أنفاً، واستخدام الجدل استخدامًا كفؤاً (وهو مفتقد افتقادًا بينا في نمط التعليل الذي عرضه النص ب) مما نجده في خطاب العرب من ذوي التعليم الغربي وعند أولئك المتضلعين في البلاغة العربية القديمة. ويندر أن نجد عند غيرهم مثل تلك النصوص وذلك الاستخدام. هذه الظاهرة ليست أزلية وليست مفردة. ولذا يمكن أن تفسر في إطار اللغة في الحياة الاجتماعية.

وليس ثبات الاستراتيجيات الحيوية للمجادلة في العربية مما يقبل التحليل في حدود أي قصور ذاتي في نظام لغوي مثل هذا، بل يقبل التحليل في حدود العلاقة المعقدة بين اللغة والمجتمع، بين الخطاب والأيديولوجيا.

على سبيل الإجمال عرضت في هذا البحث نموذجًا لأنماط النص، ميز بين شكلين رئيسين: العرض المجرد detached Exposition والمجادلة التقويمية Evaluative Argumentation. وقد كان هدفي الرئيس هو أن أميط اللثام عما تعرب عنه العربية من تفضيل نوع من المجادلة تفضيلاً خاصًا، نوع يدافع فيه المجادل عن موقف أو يستنكره، من غير أن يبدي قبولاً صريحًا بما يمتدحه الخصم من معتقد. وفي الوقت الذي يسترعي فيه هذا الشكل من المجادلة نظرنا بما فيه من تفكك الرابطة المنطقية بين قضية وأخرى، فإنني أرى أن استعمال العربية استعمالاً أخرق Inept Use of Arabic – مع جملة من العوامل والظروف السياسية – الاجتماعية – مما ينبغي له أن يلقي عليه باللوم، لا على العربية ذاتها. والحق أن البلاغة العربية في العصور الوسطى كانت الرائدة في التعرف على نصوص المجادلة المضادة من النمط: "دعوى ضد دعوى" وتحليلها، كما كانت رائدة في التعامل مع التعليل المنطقي تعاملاً سديدًا.

الهوامش

(١) B. Hatim: Argumentative Styles across Cultures, in: R. Kolmel and J. Payne (eds.) Babel: The Cultural and Iinguistic Barriers Between Nations, Aberdan Univrsity Press (1989)

(٢) قدامة بن جعفر: نقد النثر، بيروت – دار الكتب العلمية ١٩٨٣. وهناك خلاف في تأليف هذا الكتاب. ويكاد يكون من المؤكد الآن أن المؤلف الحقيقي كان معاصرًا لقدامة، وهو أبو الحسين اسحق ابن إبراهيم بن سليمان بن وهب، وأن العنوان الصحيح للكتاب هو "البرهان في وجوه البيان" (انظر مقدمة نقد الشعر، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت، وأنا مدين للأستاذ/ ج. د. لاثام Latham على توجيه انتباهي إلى تلك المسائل). على أي حال، فقد كان مناسبًا لي هنا أن أعود – في إيجاز – إلى العنوان الأشهر في هذه المقالة.

(٣) السكاكي: مفتاح العلوم، بيروت – دار الكتب العلمية ١٩٨٣.

(٤) B. Hatim and I. Empson Discousrse and the Translator. London. Longman 1990.

(٥) Aristotle: Art of Rhetoric. Translated by J. J. Freese. London. Heinemann 1967.

(٦) Ibid, p. 22

(٧) طه حسين: تمهيد في البيان العربي، في مقدمة نقد النثر.

(٨) يشير المؤلف إلى قول قدامة: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين. ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتنصل في الاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر. وهو ينقسم قسمين أحدهما محمود، والآخر مذموم. فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل به الصدق. وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة؛ وطلب الرياء والسمعة" (نقد النثر ص١١٧) (المترجم).

(٩) أعترف بالجميل لرون باكلي Ron Buckley على مساعدته في ترجمة الأجزاء المطلوبة من "نقد النثر" (ص١١٧ – ١٢٣). ويشير المؤلف في هذه العبارات إلى قول قدامة: "حق الباحث أن يبني مقدماته مما هو أظهر الأشياء في نفسه وأبينها لعقله؛ لأنه يطلب البرهان، ويقصد لغاية التبيين والبيان، وألا يلتفت إلى إقرار مخالفيه فيه "(نقد النثر ص١١٩) (المترجم).

(١٠) R. de Beaugrande and W. Dressler: An Introduction to Text Iinguistics Lonkon. Longman 1981, p. 16.

(١١) يشير المؤلف إلى قول قدامة: "وحق الجدل أن تبنى مقدماته مما يوافق الخصم عليه..." (نقد النثر ص١١٩) (المترجم).

(١٢) آل عمران، آية ٩٣.

(١٣) النص في "نقد النثر ص١٢٠" هكذا: "فجادلهم بكتابهم الذي يقروّن به وبفرض ما فيه ووجوبه عليهم؛ وأعلمهم أنهم إذا حرموا على أنفسهم ما لم يحرمه الله في كتابهم الذي هذه سبيله في وجوب التسليم له فقد ظلموا واعتدوا، وهذا لازم لهم" (المترجم).

(١٤) وعبارة قدامة هكذا: "وحق الجدل أن تبنى مقدماته مما يوافق الخصم عليه. وإن لم يكن في نهاية الظهـــور للعقل" (نقد النثر ص١١٩) (المترجم).

(١٥) S. Toulmin: The Uses of Argument, C U P. 1958.

عن: B. Koch: Arguments with Khomeini Text 1986.

(١٦) لعل المؤلف يلمح إلى قول قدامة: "وأنواع البحث والسؤال تسعة أنواع، فأولها البحث عن الوجود ب "هل"... والتاسع البحث عن علل الموجودات ب "لم". وليس يقع الجدل بالحجة إلا في العلة، ولا يجب الحق والباطل إلا فيها" (نقد النثر ص٢٦–٢٧، وقوله: "إن الجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسئول عنها" (المرجع السابق ص١٢٠) (المترجم).

(١٧) قال قدامة: "وطلب العلة يكون على وجهين: إما أن تطلبها وأنت لا تعلمها لتعلمها: وإما أن تطلبها وأنت تعلمها ليقرّ لك بها، وليس لك أن تجادل أحدًا في حق يدّعيه إلا بعد

مسألته عن العلة فيما ادعاه فيه، فإن كان علمك بعلته قد تقدم في شهرة مذهبه، فالأحوط أن تقره بما بنى عليه أمره لئلا يجحد بعض ما ينتحله أهل مذهبه إذا وقف عليه الكلام ويدعي أنه مخالفهم فيه؛ فإن أمنت ذلك منه فلا عليك أن تجادله وإن لم تقرّ بعلته. واثنان لا يلزمك منهما سؤال، ولا يجب لهما عليك جواب. أحدهما من سألك عن العلة في شئ ادعيته فأخبرته بها، وهي مما يجوز أن يعلل ذلك الشئ بمثله؛ فطالبك بعلة للعلة، فمطالبتك في ذلك غير لازمة، ومسألته ساقطة، والآخر من أراد مناقضتك في مذهبك ولم ينصب لنفسه مذهبًا يجب له عليك فيه بمخالفتك إياه المخاصمة، فليس تلزمك له حجة في ذلك ولا يجب عليك فيه سؤال" (نقد النثر ص١٢٠-١٢١) (المترجم).

(١٨) قال قدامة: "والعلل علتان: قريبة، وبعيدة، فالقريبة ما كان المعلول واليها. والبعيدة ما كان بينه وبينها غيره؛ وذلك كالولد الذي علته القريبة النكاح، وعلته البعيدة والده" (نقد النثر ص١٢١) (المترجم).

(١٩) قال قدامة: "وللعلل وجوه: منها اعتبارها، فإن اطردت في معلولاتها صحت، وإن قصرت عن شئ من ذلك علم أنها غير صحيحة... و(منها) أن تكون العلة في حصة الشئ هي العلة في بطلان ضده، إذا كان ضدًا لا واسطة له... و(منها) أن العلة في الشئ إذا كانت من اجتماع شيئين أو أكثر من ذلك لم تكن واجبة إذا انفرد بعض تلك الأشياء... و(منها) أن العلة إذا كانت مأخوذة مما يوافق الخصم فيه فلا مطعن له فيها، فإذا كانت العلة مأخوذة مما يخالفك فيه الخصم، فليس يجوز أن تحتج عليه بها إلا أن تعلمه أن علتك مأخوذة مما يخالفك فيه... و(منها) أن الجدل في العلة والسؤال عنها ماض في سائر ما يخالفك فيه خصمك، فإذا صرت إلى ما يوافقك فيه، فليس لك أن تسأله عن العلة ولا أن تجادله فيها؛ لأنك حينئذ تكون مجادلاً لنفسك، اللهم أن يكون سؤالك عن العلة في ذلك لتقرره بها ثم تأخذه بطردها في شئ – وقد أباه – حكمه حكم ما وافقك فيه... و(منها) أن المعارضة في الجدل صحيحة، وإن كان قوم قد أبوها، وقالوا أنها لا مسألة ولا جواب: وليس الأمر كما ظنوا... وكل زيادة تقع في المسألة أو العلة من جنس المسألة فليس ذلك بخروج عنها، وأما ما خالف معنى المسألة والعلة فهو خروج وتخليط" (نقد النثر ص١٢١-١٢٢) (المترجم).

(٢٠) Koch (1986) pp. 175-176

(٢١) انظر:

R.B. Kaplan: Contrastive Rhetoric & the taeching of composition. TESOL. Quarterly 1. 4 (1967): 10-16

E. Shoaby: The influence of the Arabic language on the Psychology of the Arabs, Middle East Education 5 (1951) pp. 284 - 302

التوازي في العربية
التعديل قالباً للإقناع
باربرا جونستون

التوازي في العربية
التعديل قالبًا للإقناع
باربرا جونستون(*)

مدخل:

من الأفكار التقليدية أن المرتكزات أو الاستراتيجيات strategies التي يستخدمها المتكلم لإقناع شخص بشئ بعينه مقيدة بعوامل نفسية وتاريخية فحسب. في هذا البحث أدلل على أن الضوابط اللغوية Linguistic constraints في استراتيجيات الإقناع تعدل تلك العوامل النفسية والتاريخية في الأهمية. أرى أن نحو التعديل على مستوى العبارة والمجموعة الجملية syntax of phrase - and clause – level modification في العربية المكتوبة، يعد قالبًا من قوالب بنية الخطاب البلاغي على مستوى الجملة والفقرة. إن خطاب الإقناع العربي – في النصوص المعاصرة التي بحثتها – متأثر من الناحية البلاغية بتكرار التوازي paratactic repetition. وهناك فكرة قابلة للتصديق، ذكرت وركن إليها وشرحت، هي أن الكتاب العرب يستخدمون الربط بين الجمل الرئيسة استخدامًا قويًا. ويندر أن يستخدموا الربط بين الجمل التابعة الذي يعلو شأنه في خطاب الإقناع الإنجليزي. ويتميز نحو التعديل العربي Arabic modificational syntax أيضًا بالعبارات المتجاورة في تواز. من العبارات المتجاوزة من النوع التركيبي نفسه: الصفة والموصوف، وبعض جمل صلة الموصول، وجمل الحال. وهي أبنية تابعة لغيرها. وتعد المشاكلة البنائية بين الإقناع والتعديل نوعًا من التطابق؛ وذلك أن الإقناع يمكن – في حقيقة الأمر– أن ينظر إليه على أنه وظيفة من نوع التعديل. إن دعواي الأعم هي أن الانتفاع بالاستراتيجيات

(*) Johnstone, Barbara: Paratactic in Arabic: Modification as a Model for Presuasion, in Studies in Language,Vol.11,No.1 (1987) pp. 85-98

التركيبية مثل: التوازي في اللغة، إنما هو من الأمور التي تعلل سبب استعمالها في الخطاب استعمالاً تداوليًا، والعكس صحيح(*).

التوازي في الخطاب:

خطاب الإقناع العربي خطاب تكراريrepetitiveعلى نحو معقد(١). إنه مبني على التوازي بناء كليًا تقريبًا؛ إذ تتضام المفردات المترادفة في مزاوجات معجمية (كوتش Koch ١٩٨٢ أ)؛ فالجذور اللغوية والصيغ الصرفية تتكرر، وتنتج المتكررات التركيبية عبارات وجملاً متوازيةٍ، كما يقع التكرير المعنوي، ونرى المثال [١] – وهو مقتبس من عمل في النقد الأدبي – مثالاً مناسبًا تمامًا؛ لأنه لا يكشف عن هذه الظاهرة فحسب، بل يحاول أيضًا أن يشرحها(٢).

[١] وكأنه يرى أن الأدب الجديد بهذا الاسم، هو الذي يروق السمع كما يروق القلب في آن واحد، وهو لذلك يوفر لصونه كل جمال ممكن، ومن الغريب أنه لا يعدل عبارة يمليها، ولا يعد محاضرة قبل إلغائها؛ فقد أصبح هذا الأسلوب جزءًا من نفسه وعقله؛ فهو لا يملي ولا يحاضر إلا به، وكثيرًا ما تجد فيه الألفاظ المكررة، وهو يعمد إلى ذلك عمدًا، حتى يستتم ما يريد من إيقاعات وأنغام ينفذ بها إلى وجدان سامعيه وقارئيه".

نجد هنا اعتمادًا عظيمًا على الربط بين عبارات متكررة معنى أو شبه متكررة paraphrastic and near paraphrastic conjun ction في ثنايا هذا النص، لاسيما في نطاق المسندات predicates من تلك الجمل. نجد – في الجملة الأولى – المسند الموصول: "هو الذي يروق". "وهو لذلك يوفر".

(*) هذا البحث صورة منقحة لبحث آخر قدم إلـى: L S A Annual Meeting (ديسمبر ١٩٨٣). وقد قدم كل من أ. ل. بيكر A. L. Becker وإرنست مكاروس Ernst Mc Carus ومحمود البطل مساعدة فائقة القيمة في الصياغة الأولى لتلك الأفكار. وأود أيضًا أن أشكر بروس مانهايم Bruce Mannheim وإديث هنانيا Edith Hanania ومراجعًا أجهل اسمه، على تصويب عدد من الأخطاء التعبيرية في مسودة سابقة. وبالطبع فأنا المسئولة عما بقي من أخطاء أو إساءة في التفسير.

ويتصل الجزء الأول منه أيضًا بالمزاوجة اللفظية الشارحة: "يروع السمع كما يروع القلب". والمسند في الجملة الثانية موصول أيضًا: "لا يعدل... ولا يعدّ". وليس الأثر الذي ينتجه توازي الجذرين المعجميين المتشابهين تشابهًا كليًا: ع – د – ل / ع – د – د. ليس أثرًا عفويًا(*).

وفي الجملة الثالثة نرى المزاوجة المعجمية lexical couplet: "من نفسه وعقله"، والإسناد المزودج في الجملة التالية: لا يملى ولا يحاضر إلا به". في الجملة الأخيرة نرى مزاوجتين اثنتين هما: "إيقاعات وأنغام" و"سامعيه وقارئيه".

تبدأ الجمل الأربع جميعًا بحروف عطف، ثلاثة منها هي الواو، والرابعة هي الفاء(٣).

وهناك جملة تابعة subordinate clause في تلك الفقرة، فضلاً عن جملتين موصولتين أعود إليهما بعد ذلك.

وفي الفقرة [٢] التالية مثال آخر على الخطاب المعتمد على التكرير المعنوي اعتمادًا كبيرًا. تعرض هذا المثال فقرة من مقال من جنس المثال السابق ذاته: النقد الأدبي(٤).

[٢] "الشعر تعبير وتصوير لمشاعر الشعراء وأفكارهم، سواء كانت التجربة واقعية أو من نسج خيال الشاعر. وفي كلتا الحالتين فإن التجربة صادقة، لأنه ولو كانت التجربة غير واقعية – أي خيالية – فإن الشاعر يعيش فيها مدة طويلة قبل أن ينظم شعره ويحسّها في نبضات قلبه ويشعرها تسري في دمائه. وبذلك فإن كل ألوان الشعر تعبير عن مشاعر صادقة يحس بها الشاعر ويعيش فيها".

هذا المثال يبدو – إلى حدّ ما – أشد تعقيدًا في بنيته من المثال السابق. إنه يضم جملتين تابعتين، إحداهما مع: "سواء كان" والأخرى مع "ولو

(*) ليس التشابه بينهما تشابهًا كليًا كما ذكرت؛ لاختلافهما – كما هو واضح – في الأصل الأخير (المترجم).

كان". ويضم هذا المثال أيضًا جملتين وصفيتين، إحداهما تعادل الأخرى: "يحسّ بها... ويشعرها تسري...". وتعد هذه الفقرة – على الإجمال – أقل توازيًا – نوعًا ما – من كثير من الفقرات الأخرى، وإن تعدد الربط فيها بحروف العطف. على كل حال، فهي فقرة نمطية، من حيث إنها فقرة تكرارية على مستوى عال.

في الجملة الأولى نرى مزاوجتين شارحتين: "تعبير وتصوير" (وهي مزاوجة معجمية مبنية على التوازي الصرفي) "ولمشاعر الشعراء وأفكارهم" .

وفي الجملة الثانية نرى "غير واقعية أي خيالية" التي نراها تفسيرية أو شارحة Paraphrastic، إن لم نرها نوع إطناب redundant. وذلك عند التسليم بحقيقة كون اللفظين. "واقعي" و"خيالي" متضادين تضادًا صريحًا في الجملة التي سبقتها.

وتحتوي الجملة الثالثة على مزاوجتين اثنتين، كلتاهما تفسيرية أو شارحة. أما المزاوجة الأولى، فهي: "يحسها في نبضات قلبه ويشعرها تسري في دمائه". وأما الأخرى، فهي: "يحس بها الشاعر ويعيش فيها".

وتعد الجملة الثالثة كاملة تفسيرًا للجملة الثانية. وتعبر كلتا الجملتين عن شئ واحد: يعبر الشعر عن تجارب واقعية؛ لأن الشاعر يعيش في تجاربه ويشعر بها، سواء أكانت تجارب واقعية أم غير ذلك. وتعوق كلمة "بذلك" – في صدر الجملة الثالثة – ملاحظة هذه العلاقة التفسيرية. ليست كلمة "بذلك" (=Thereby) في الإنجليزية الكلمة التي نتوقع أن نراها قبل شرح أو تفسير.

وينأى عن الاحتمال كثيرًا – على رغم ذلك كله – أن نجد كاتبًا يستخدم "بذلك" في غير موضعها الصحيح، في مثل هذا النص المعقد الذي نسج وعدّل في عناية.

الاستحضار والإقناع:

في علم البلاغة شبه المنطقي الغربي الذي تحاكي فيه البنية والعبارة في المجادلات غير الأصولية البنية والعبارة في المجادلات الأصولية (بيرلمان Perelman: ١٩٦٩: ١٩٣–٢٥٥)، نرى الوظيفة المعيارية لكلمة "إذن Therefore" ونظائرها من أدوات الوصل (والتي يرمز لها اختصارًا بـــ ∴) هي الإشارة إلى نتيجة استدلال قياسي منطقي:

كل إنسان فان،

وسقراط إنسان.

إذن سقراط فان.

ومهما يكن من أمر، فإن كلمة Therefore (إذن – ولذلك – ومن ثم) وما يرتبط بها من تعبيرات، يغلب أن تشير – من الناحية التداولية – إلى الدعاوى التي تقررت صحتها بطرق أخرى. مثال ذلك أن الإقناع الذي ينتج عما يسمى باسم ethos (أي عرض المجادلة لذاته) أو الذي ينتج عما يسمى باسم pathos (أي الإثارة الوجدانية)، يمكن لهما أن يوصفا على النحو ذاته الذي يوصف به الإقناع المنطقي:

[٣] استقصاؤها لا يشك في صحته وحجتها محكمة، إذن سوف نقبل نظريتها (logos).

[٤] أصر عضو مجلس الشيوخ على أنه شريف النفس، إنه على قدر عال من الاحترام، وهو – على ما يبدو – من عائلة، ويزور الكنيسة كل يوم أحد، إذن (ولذلك) تسقط دعوانا ضده (ethos).

[٥] بدا واضحًا أن نائب الرئيس نيكسون يحب كلبه الصغير حبًا جمًا حتى استغاث منه الناس. إذن (ولذلك) هم يعتقدون أنه لم يقبل الرشاوى (pathos).

ويحق لنا أن نزعم أن الوظيفة التداولية لـــ (إذن، ولذلك therefore) هي الإشارة إلى أن ما يأتي بعدها – في أي صورة كانت – يقرر خلاصة

لما قبلها. ومهمة البلاغيين التقابليين هي وصف الكيفية التي يتحقق بها هذا الأمر. بناء على ذلك، كيف يمكن لقضية أن تقرر شرحًا للقضية ذاتها؟ ولماذا يكون قول الشئ الواحد مرتين أو ثلاث مرات أقوى تأثيرًا من الناحية البلاغية من أن نقوله مرة واحدة ؟ ولماذا يكون التكرار في العربية هو الآلية الأشيع والأقوى في الإقناع ؟.

جليّ أن اختبار كيفية التعبير عن الفكرة؛ أي: كيف نقولها؟ يعدل في أهميته غالبًا القضية المعبر عنها: أي في أهمية ما تقوله. وغالبًا ما يكون التكرار المعنوي أو التفسير إقناعيًا في سياقات بلاغية غير رسمية informal rhetorical contexts. (آه، هذا هو الوقت الذي نضعها فيه هذا الوضع..)، أو في بعض السياقات الرسمية في المجتمع الأمريكي (وإن كان النموذج السائد في الكتابة الإقناعية persuasive writing يخضع العرض presentation أو الأسلوب style للابتكار والترتيب) يمكن لهذا النوع من الإقناع أن يسمى بالعرض أو الاستحضار (كونتش ١٩٨٣ ب). يجعل الاستحضار الأشياء مصدقًا بها؛ لأنه يمنحها قوة في حقل عاطفة المستمع ويستبقيها فيه. يستحضر التكرار الأفكار باستبقائها مكان الخطاب وزمانه.

إن استخدام الزمن المضارع في الإنجليزية يجعل الأفكار أيضًا أوثق عرى بمكانها. يقع هذا في استخدام الزمن المضارع في الحديث عن الماضي. وقد ناقشت شيفرين Schiffrin (١٩٨١) هذه المسألة أخيرًا في بحث لها عن المضارع التاريخي في النص السردي. كذلك تخلق الإحالات الإشارية الانفعالية emotional deixis (لاكوف Lakoff ١٩٤) حضورًا presence. وقد ضرب لها لاكوف من الأمثلة الكلمتين "هنا" و"الآن" في نحو قولنا: "هنا فكرة" أو "الآن، موضوعي التالي هو..". وتعد الاستعارات البصرية visual metaphors طريقة أخرى من طرق الاستحضار: فقد يرى المتكلمون أن مقارنة الأفكار على نحو مؤثر في أن

يجعلوا المستعمين ينظرون إليها، أو بادعاء أنهم يستطيعون – في سهولة – رؤيتها. ويستعمل كتاب العربية تلك الاستراتيجيات جميعًا في الخطاب الإقناعي من أجل استحضار الواقع. ويعد التكرار القائم على التوازي – سواء أكان تكرارًا بنائيًا structural أم معنويًا paraphrastic – أبرز تلك الاستراتيجيات. الاستحضار وتكرار التوازي الذي يرافقه هما مفاتيح طريقة بناء الخطاب الإقناعي في العربية. يعني هذا أن الحاجة إلى الاستحضار تؤثر في شكل الخطاب تأثيرًا حاسمًا.

السؤال الذي أعود إليه الآن هو: لماذا استخدمت هذه الاستراتيجية على وجه الخصوص (مع متعلقاتها الشكلية) للإقناع ؟

التوازي في النحو:

إن الطريقة التي نجعل بها الخطاب محبوكًا معنويًا coherent، تعكس – بالمعنى الأوسع – الطريقة التي نجعل بها العالم موصوفًا بالصفة ذاتها[٥]. في سياق الخطاب الأضيق، هناك مصدران مهمان لما يلقى عليه من قيود. يقيد شكل الخطاب – من ناحية – بالوظيفة المنشودة؛ فالخطاب البلاغي يختلف عن الخطاب غير البلاغي[٦]. ومما له علاقة بمحاور الخطاب البلاغي وباستراتيجيات الإقناع: المعارف والقواعد التي تحدد – على نحو حضاري – من يمكنه أن يقنع الآخر، وكيفية تحقيق هذا الإقناع. وتتقاطع النظرة الإسلامية العربية إلى توقير الكلمة، وأشكال الخطاب العربي، وسياسة الشرق الأدنى، تتقاطع جميعًا – على نحو ما حاولت في موضع آخر بيانه – مع فهم الخطاب الإقناعي العربي (وانظر: كونتش ١٩٨٣ ب).

من ناحية أخرى، فإن الشكل الذي يتخذه الخطاب يعد وظيفة ما صبغ منه هذا الخطاب؛ أي وظيفة مفردات اللغة ومبانيها. بعبارة أخرى نقول: إن القيود التركيبية التي تلقى على لغة بعينها، هي قيود ملقاة على الخطاب

بتلك اللغة. أرى – فيما يلي – أن بعض أنواع تكرار التوازي (على الأقل) التي هي رد فعل للإقناع في العربية، إنما هي أنواع متجذرة في البنية التركيبية للغة العربية ذاتها. يعني هذا أن للعربية ذاتها – وليس للخطاب بالعربية – طرقًا في استدعاء تكرار التوازي. إن نحو عدد من أنواع تصرف الفعل والاسم بخاصة، مما يعد نحو تواز في العربية.

إن معظم خواص الخطاب العربي التي كشفت عنها بالمثالين [١] و[٢] تعد نتيجة وعي الكتاب بما يختارون وعيًا نسبيًا. ومن الممكن تمامًا أن نكتب عربية صحيحة صحة نحوية، من غير أن نستعمل – مثلاً – مزاوجات معجمية، أو أن نربط بين عبارات فعلية متوازية. ليست معايير اختيار مزاوجة معجمية من أكثر من كلمة مفردة، ليست معايير للصحة النحوية grammaticality، ولكنها معايير للمقبولية acceptability على مستوى آخر، هو مستوى نوع المعايير التي ينبغي للكاتب أن يستعملها حتى يقرر أن شيئًا بعينه قد أجيدت كتابته أو العكس. ومهما يكن من أمر، فإن هناك حالات لا تكون فيها الاختيارات حرة على هذا النحو، حالات تختار فيها البنية التكرارية المتوازية؛ لأن نحو العربية يؤثرها على غيرها، أو لأنها الاختيار الوحيد الذي يسمح به النحو. هناك نوع ميل إلى حرية الاختيار في الخطاب. من طرق الاختيارات التي تتخذ في حرية كاملة اختيار المحسنات اللغوية الخالصة Purely ornamental figures of speech.(٧) وهناك شكل آخر للاختيارات تكون فيه مقيدة كلية بالقوانين التركيبية كاختيار فعل يناسب فاعله (٨).

وفي موقع وسط من هذا الميل، تقع بنية المفعول المطلق؛ وهي بنية يقع فيها الفعل أو اسم المفعول أو اسم المصدر موقعه من عبارة تضم المصدر المشترك معها في الجذر نفسه. ومثال ذلك من النص الأول السابق:

[٦] يعمد إلى ذلك عمدًا:

المألوف والمفضل أن يكون هذا المصدر من صيغة الفعل ذاتها، ويؤدي هذا إلى التكرار (أي تكرار الجذر وتكرار الصيغة). وتتبع هذا المصدر غالبًا صفة منصوبة مثله، نحو:

[٧] تختلف اختلافًا أساسيًا:

وربما وقع في حال إضافة مثل:

[٨] كانوا التزموا المبدأ أشد التزام.

وهناك وسائل أخرى. مثل: المفعول المطلق المبيِّن لنوع الفعل.

في العربية أحوال وتمييزات قليلة. يمكن لتعديل الحال أو التمييز أن يتخذ طرقًا متنوعة، كأن يُعبَّر عن الحال بالجار والمجرور "جاء بسرعة"، أو بأفعال خاصة مثل: "كدت أقع" أو بأسماء معينة منصوبة "أحيانًا" أو أن يعبر بالتمييز مثل: "وكنت معه أشد إيجازًا"، أو بالمفعول المطلق. وفي الوقت الذي يتمتع فيه الكاتب بقدر من الحرية في تقرير استعمال المفعول المطلق أو بنية أخرى في تكييف الحال أو تعديله adverbial modification، يندر أن يخاير بين المفعول المطلق والحال. ويشغل المفعول المطلق وظيفة تركيبية جوهرية. وفي الوقت الذي لا إكراه فيه على الإطلاق على استعمال المفعول المطلق، نرى بنية اللغة التركيبية تؤثره إيثارًا بالغًا. وهو ما يعني أن الاختيار محدود. فضلاً عن ذلك، تتولد من المفعول المطلق استخدامات تبين نوعه وتكون منصوبة؛ وذلك أن مثل: "ضربته شديدًا" يفسره بعض النحاة على الأقل. مثل هايود Haywood ونامد Nahmad على أنه نتيجة حذف المصدر في "ضربته ضربًا شديدًا (نائب عن المفعول المطلق). في تلك الحالات، يلعب تكرار الجذر – إن صح هذا التحليل – دورًا بعينه على المستوى النحوي المجرد. وجمل الحال مثال آخر على تكييف التوازي، تقدم جملة الحال تكييفًا حاليًا بالإخبار عن الظروف والملابسات الملازمة للجملة المكيفة modified clause، وفيما يلي أمثلة على ذلك (من عبود وآخرين ١٩٧٥: ٤٣٥):

[٩] وصل وبين مكاتباته رسالة للرئيس.

[١٠] حضر إلى أمريكا وهو صغير.

وهذا مثال من النص (٢) المذكور آنفًا:

[١١] يعيش فيها... يحسها في نبضات قلبه ويشعرها تسري في دمائه.

هاتان جملتان، تكيف إحداهما الجملة الرئيسة وتكيف الأخرى جملة "يشعرها". وفي جميع الجُمل الحالية، هناك ضمير يعود على صاحب الحال في الجمل المكيفة، وصيغة فعلية أو اسم الفاعل أو المفعول. والفاعل فيها جميعًا ضمير. أما الرتبة word order فهى ذاتها التي نجدها في الجملة القائمة بذاتها. وفي معظم الحالات تسبق الحال بواو، يسمى عبود وآخرون (١٩٧٥: ٤٣٥) هذه الواو باسم ربط التابع المطابق لمتبوعه بحرف العطف: "الواو". وتسمى هذه الواو في العربية باسم واو الحال. وسواء فضلنا النظر إلى واو الحال على أنها وحدة معجمية مختلفة عن واو العطف في العربية المعاصرة أم لا، فإن هاتين الواوين على ارتباط تاريخي واضح: يرى بيتسون Beetson (١٩٧٠: ٨٩) أن وظيفة واو الحال في الأصل كانت العطف. ويقدم هذه الجملة الإنجليزية مثالاً على جملة معطوفة بتأثير جملة الحال:

(12) He has behaved disgracefully to me, and he calls himself my friend.

(سلك سلوكًا شائنًا تجاهي، وهو يسمى نفسه صديقي).

ويمكن أيضًا للجمل التي كالحال أن تقع في مبادلات متطرفة في الإنجليزية، نحو:

(13) John didn’t show up.
Yeah, and he promised he would.

يجعل أوكس Ochs (١٩٧٩) وآخرون مثل هذه الأمثلة دليلاً على دعوى بعينها، هي أن الربط بين الجمل الثانوية في الخطاب المنطوق أقل منه في الخطاب المكتوب. وربما كان من الأدق القول بأن الجملة الثانوية يندر أن تميز على المستوى التركيبي أو المعجمي. العلاقة المنطقية بين

الجمل الرئيسة وجملة الحال علاقة متغيرة؛ فقد تكون جملة الحال زمنية temporal، وقد تكون علاقة مخالفة adversative، وقد تكون علاقة تبيين explanatory. وفي الوقت الذي تكون فيه الجمل الحالية تابعة من الناحية الدلالية، فإنها من الناحية الشكلية تشبه شبهًا قويًا جدًا الجمل القائمة بذاتها والتي هي – من حيث التوازي – مرتبطة بما تقوم على تعديله أو بيان حاله.

ومن أوثق الأشياء عرى بالميل إلى الاختيار المقيد تقييدًا كاملاً الأنواع المتعددة للتعديل الاسمي nominal modification والتي تبدو متوازية توازيًا ثابتًا. تتعلق الصفات في العربية بالأسماء التي تعدلها أو تصفها. ويرى بيتسون Beetson (١٩٧٠: ٤٥) أن الصفات كانت من الناحية التاريخية عطف بيان appositive nouns. وتقدم دلالة المزاوجة المعجمية: نفسه وعقله، شاهدًا آخر على أن عطف البيان appositive كان إحدى الآليات الأساسية للتعديل الاسمي في العربية. وتميل المزاوجات المعجمية غير القالبية non - idiomatic lexical couplets كالمزاوجات السابقة، تميل ميلاً قويًا إلى أن تصير مزاوجات ذات وظيفة تعديلية (كونش ١٩٨٣ أ: ٥٤–٥٥).

وتشبه جمل الصلة النكرات أبنية عطف البيان، من حيث إنها لا تفترق من حيث الشكل عن الجمل القائمة بذاتها تمامًا. ومثال ذلك من النص [٢] السابق.

[١٤] مشاعر صادقة يحس بها الشاعر ويعيش فيها.

الدليل الوحيد على أن هذه الجملة موصولة وليست قائمة بذاتها: "مشاعر صادقة يحس بها الشاعر، ويعيش فيها"، هو أنها جزء من الوحدة الكتابية ذاتها التي ضمت الاسم الرئيس: "مشاعر"، وأنها تحتوي على الضمير "ها" في "بها" الذي يعود عليه. وتتصل معظم جمل الصلة بالجمل التي تنتظمها، من حيث إنها تضم ضميرًا مطابقًا أو فعلاً فاعله الاسم الرئيس في جملة الصلة(٩). ويمكن للجمل القائمة بذاتها أن تضم – بالطبع

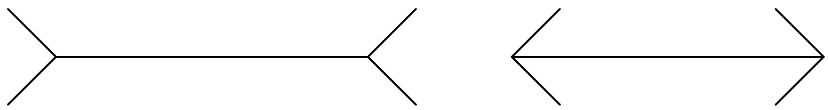
– ضمائر أو أفعالاً تحيل على جمل سابقة. كذلك فإن الوصل الذي تستلزمه جمل الصلة لا يجعلها تتطلع إلى شئ مختلف عن الجملة القائمة بذاتها. لا يؤدي هذا إلى القول بأن جمل الصلة النكرات ليست من أنماط الجمل الحقيقية في العربية. هناك علامات تنغيمية تسم تلك الجمل بالتبعية في عملية النطق، كما أن الأسماء الموصولة علامات تميز جمل الصلة المعارف(١٠). غير أن الجمل الموصولة النكرات تشبه أبنية عطف البيان المتوازية من حيث الشكل شبهًا لافتًا.

مناقشة:

مجمل القول أن خطاب الجدل الإقناعي في العربية يتميز بتجاور الأفكار تجاور توازٍ paratacctic juxtaposition of ideas؛ أي التجاور الذي يتكئ على كلمات متوازية، أو عبارات متوازية، أو جمل متوازية. ويشغل التجاور التكراري repetitive juxtaposition – من الناحية البلاغية – وظيفة الاستحضار؛ وذلك أنه يستحضر الدعاوى البلاغية repetitive claims إلى الواقع الحي. ويتميز نحو التعديل العربي Arabic modification syntax أيضًا بالتجاور المتوازي عن طريق تراكب المواد اللغوية من الجنس المعجمي أو التركيبي نفسه.

أما الأثر الدلالي للتجاور في نطاق النحو، فهو التعديل أو التكييف. وأما الأثر التداولي للتجاور في الخطاب، فهو الإقناع. هذه الاستراتيجية المحسوسة نراها فاعلة على كلا المستويين. لنقل – على سبيل التبسيط – إننا ندرك الأشياء إدراكًا مختلفًا عند الاعتماد على ما ترتبط به.

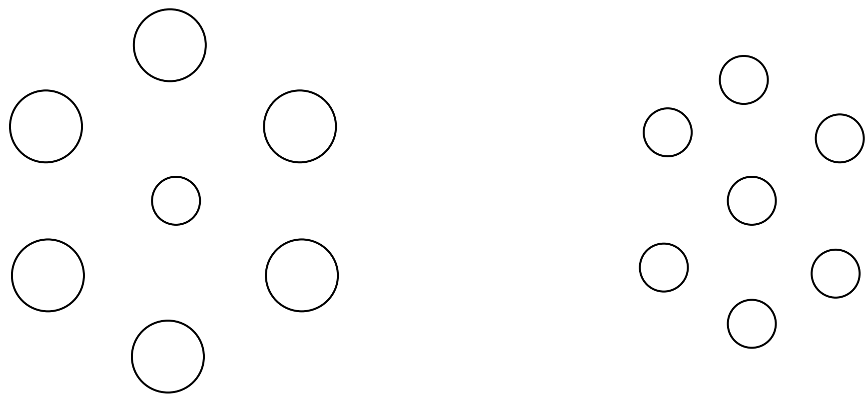
يتمثل الإدراك البصري في تجاربنا مع الأشكال الهندسية والألوان. يتجلى الخداع البصري عند مولر لاير Muller-Lyer مثلاً (انظر تولانسكي Tolansky ١٩٦٤: ٢٨) يتجلى في خطين متساويين في الطول، يظهران مختلفين إذا كان أحدهما بين زاويتين متجهتين ناحية الخط، وكان الآخران بين زاويتين متجهتين بعيدًا عنه (الشكل١).



الشكل (١)

ونجد مثالاً آخر في شكل إبنجهاوس Ebbinghaus (لوكيش Luckiesh ١٩٦٥: ٥٦).

وهو عبارة عن دائرتين متماثلتين، قد تبدوان غير متماثلتين إذا كانت المسافات بينهما غير متساوية (الشكل ٢).



الشكل (٢)

هذا، ولم يتفق علماء النفس على كيفية حدوث الخداعات البصرية من النوع السابق. على رغم ذلك، يبدو التجاور عاملاً أساسيًا: "فتقديرنا للكم الهندسي geometrical quantity يتأثر تأثرًا ملحوظًا بطبيعة المنطقة التي تحيط به" (تولانسكي ١٩٦٤: ٢٩).

وفي إدراك المعنى إدراكًا لغويًا، يمكن أن تتبدى هذه الظاهرة من خلال تحليل دلالات المزاوجات المعجمية مثل:

- “clear and concise”

(وتعني "واضح ومختصر").

إذا كانت clear (واضح) تشير بذاتها إلى نوع من النثر الإنجليزي مرغوب فيه، وconcise (مختصر) تشير إلى نوع آخر، فإن التجاور بين الكلمتين في "clear and concise" يؤدي إلى أن تعدل كلمة concise كلمة clear أو تكيفها: فالاختصار يسهم في الوضوح. ويؤثر التجاور أيضًا في الشعور الاجتماعي: يحكم على الناس بمن يتزوجون أو يصادقون. من المنتظر – بناء على ذلك – أن تعمل المجاورة في النحو أو في الخطاب عملها أينما وقعت. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الحقيقة تظل ثاوية: وهي أن الخطاب العربي يستخدم هذه الاستراتيجية استخدامًا أقوى من استخدامها في الإنجليزية؛ هذه اللغة التي ينتج الإقناع فيها – في السياقات الرسمية على الأقل – عن البرهان الذي ينهض من خلال تبعية بعض الأفكار لبعضها الآخر، لا من خلال استحضارها. ويبدو لي أن التماثل بين استراتيجية التعديل في العربية واستراتيجية الغرب في الإقناع لم يكن من باب المصادفة. يرجع ذلك إلى أن استراتيجية التعديل في النحو العربي – ممثلة في التوازي – تفيد في استخدامها لغرض الإقناع التداولي pragmatic purpose of persuasion في حالات عدة، بل تفيد في حالات إلزامية أحيانًا. ولما كانت تلك الاستراتجية نافعة تداوليًا وغالبة الاستخدام في الخطاب، فقد صار التوازي – من حيث هو استراتيجية تركيبية – مألوفًا بدرجة أشد. يعني هذا استخدام المألوف وألفة المستخدم. ولا يقدم التوازي مثالاً جيدًا على الطريقة التي تقيّد بها الاستراتيجيات البلاغية بقيود البنية اللغوية فحسب؛ ولكنه يقدم مثالاً جيدًا على الطريقة التي تظهر بها البنية اللغوية في الخطاب البلاغي.

ملحوظات:

(١) الجنس الذي تبنى عليه هذه الدراسة هو الخطاب المكتوب في العربية المعيارية المعاصرة؛ والذي يُمَثِّل اللهجة الأدبية للمتكلمين بالعربية وقد كانت جميع النصوص التي أقمت عليها هذه الدراسة قد كتبت لغرض إقناعي، وقدمت لعامة المستمعين المتعلمين، مما يسمح بالقول بأنها

نصوص بلاغية بالمفهوم الأرسطي. وقد كتبت جميع هذه النصوص في النصف الثاني من القرن العشرين.

(٢) شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر – القاهرة (١٩٥٧) ص ٢٥١–٢٥٢.

(٣) تعني الفاء في هذه الجملة شيئًا مثل "حتى for" و لكنها تعني أشياء أخرى في غير ذلك. وقد نوقشت دلالات هذا الربط ونحوه في العربية أخيرًا. انظر: البطل (١٩٨٥).

(٤) إرنست عيد المسيح، من مسودة مقال، لا أدري إن كان قد ظهر مطبوعًا أم لم يظهر.

(٥) أهم التطبيقات من الناحية العلمية – على حد علمي – مقالتان، إحداهما لـــ (أ، ل. بيكر Becker ١٩٧٩). والأخرى لـــ (يوديث بيكر Judith Becker ١٩٧٩). عن موسم الجاوي، ونظام التقويم الجاوي، والموسيقى الجاوية.

(٦) عما إذا كان من الممكن حقًا التمييز بين خطاب بلاغي وخطاب غير بلاغي، انظر:كينيث بوركه Kenneth Burke (١٩٥٠). ويزعم البلاغيون – على طريقة بوركه – أنهم لا يستطيعون القول بأن الخطاب كله خطاب بلاغي.

(٧) القول بالمحسنات اللغوية الحاصلة يستلزم القول بـــ "اللاتواصلية الكاملة؛ أي فقدان الوظيفة التواصلية للغة فقدانًا كاملاً completely non - communicative". ومن المشكوك فيه أن يكون هناك شئ ما – حتى الصمت نفسه – فاقدًا التواصلية فقدانًا تامًا.

(٨) يستطيع المرء – في هذا الموضع نفسه – أن يختار للمتكلمين الحرية في خلق موضوعات خاصة بكسر قوانين القبول المألوفة.

ويمكن للمرء أن يتصور في رواية عملية مركبًا يجمع بين مخلوقات ذات شخصيات متعددة، ويصبح فيه مثل قولنا "I are" قابلاً للتفسير.

وهناك مثال أقل غرابة نحو استعمال بعض الكتاب الضمير "هي she" بمعنى الجنس المرتبط في التقليد بالضمير "هو he".

(٩) في العربية القديمة حالات تفوق نظائرها في العربية المعيارية المعاصرة للجمل الموصولة دون ضمائر عائدة rsumptive pronouns أو أفعال متعلقة. الضمير العائد في العربية القديمة يحذف غالبًا بعد "مَنْ" و"ما". انظر: Haywood and Nahmad (1985) p. 285

وانظر أيضًا: Wright (1951) (1898) p. 319

(١٠) يجادل كل من حداد وكينستوفيتس Kenstowicz (١٩٨٠) في أن علامة الجملة الموصولة المعرفة وأداة التعريف تشتركان في عدد من الخواص. يعني هذا وجوب النظر إلى جمل الصلة المعرفة على أنها جمل بدل، تجعلها مطابقة لها في التعريف بواسطة ما فيها من أسماء رئيسة، على نحو ما تفعل الصفات.

المراجع

- Abboud, Petre F. et al. (1975): Elementary Modern Standard, Part 1, Ann Arbor: University of Michigan Department of Near Eastern Studies>
- Al-Batal, Mahmoud (1985): The Cohesive role of connectives in a modern expository Arabic text. Dissertation, University of Michigan.
- Becker. A.L. (1979): Text – building, epistemology and aesthetics in Javanese shadow theatre. In: The imagination of reality.
- Beeston, A.(1970): The Arabic Language Today, London: Hutchinson. University Library.
- Koch, B.J. (1983 a): Arabic Lexical Couplets and the evolution of Synonymy. General Linguistics, 23, 1: 51-61.
- Koch, B.J. (1983 b): Presentation as proof: The Language of Arabic Rhetoric Anthropological Linguistics, 25, 1: 47-60.
- Ochs, E., Schieffelin, B., Platt, M. (1979): Propsitions across utterances and speakers. In: E. Ochs and B. chieffelin (Eds.): Developmental Pragmatics (pp. 251 – 266) New York: Academic Press.
- Perelman, C. and Olbrechts- Tyteca, L. (1969): The Treatise on argumentation. London: University of Notre Dame Press.
- Schiffrin, D. (1981): Cohesion in everyday Discourse: The role of paraphrasw. Paper presented at the meeting of the Linguistic Society of America. New York.

دور التكرار في خطاب المجادلة العربي

عدنان ج. ر. الجبوري

دور التكرار في خطاب المجادلة العربي

عدنان ج. ر. الجبوري[*]

(*) AL – Jubouri. Aj. R.: the Role of Repetition in Arabic Argumentatuve Discourse in Swales J. and H. Mustafa (eds): English

مدخل:

هدف هذه الدراسة هو عرض بعض الملامح التي تميز طبيعة التكرار ووظيفته في خطاب المجادلة المكتوب بالعربية المعيارية المعاصرة عرضًا مجملاً مختصرًا. تبحث هذه الدراسة – على نحو أخص – في الأنماط المختلفة التي تتخذها الوسائل الشكلية المستخدمة في العربية للتعبير عن التكرار ولإنجاز تأثير بلاغي.

الدفاع الرئيس إلى هذا، هو الزعم بأن ظاهرة التكرار، تنطوي على بعض المشكلات التي تواجه الدارسين الناطقين بالعربية في كتابتهم الإنجليزية للمجادلة. منذ عام ١٩٦٦م، كتب كابلان Kaplan موضحًا أن كثيرًا من الدارسين الأجانب – على رغم تمكنهم من بنية الإنجليزية – يكتبون بحوثًا يراها أساتذتهم رديئة النظم أو ناقصة التماسك.وتؤيد كوتش Koch (١٩٨١) وويليامز Williams (١٩٨٢) دعوى كابلان، على الأقل فيما يخصان به دارسي الإنجليزية من الناطقين بالعربية. تلحظ كوتش "غرابة غريبة" فيما يكتبه بعض الدارسين العرب من كتابات إنشائية، وهي غرابة لا تنتج – فيما تذكر – عن الأخطاء النحوية أو الكتابية أو الوقف والابتداء فحسب، بل تنتج أيضًا – وبدرجة عالية – عن أخطاء إجمالية في كيفية التأليف بين الأفكار وفي كيفية مقاربة المحاور. ويشكو ويليامز – متحدثًا عن تجربته في تعليم الإنجليزية في الوطن العربي – من أن طلابه – على رغم قدرتهم على صياغة جمل صحيحة نحويًا – كانوا عاجزين عن نظمها في فقرات أو في نص مترابط.

لفحص هذه الظاهرة، يقتبس دودلي إيفانس Dudly - Evans وسوالز Swales (١٩٨٠) ترجمة لمقال من جريدة عربية، من أجل تقديم شاهد على نهج مختلف في إنشاء المجادلة. يكتشف هذان الباحثان بالمقارنة بين

---

for Specific Purposes in the Arab World. Birmigham: Language Services Unit. Aston University. (1984) pp. 99-117.

الترجمة العربية للمقال والترجمة الإنجليزية التي صدرت في أسلوب صحفي أشد ألفة – يكشتفان طرقًا مختلفة في معالجة المضمون الرئيس نفسه. فالترجمة العربية تبدأ بجملتين محوريتين، ولكنها تضع موضوعاتها – بعد ذلك – في سعة بالغة عن طريق سلسلة من الحقائق الحكائية التي تتصل فيما بينها من غير نظام. كثرة من تلك الحقائق تردد موضوعات سبق ذكرها، بينما بدت الطريقة الإنجليزية أكثر ميلاً إلى ترديد موقف أو دليل أو ضرب مثال (ص١٩٧). من السمات الأخرى التي اكتشفاها، استعمال حرف العطف and استعمالاً جد مختلف. كذلك؛ فقد اكتشفا اختلافًا في أطوال الجمل. وقد استنتجا أن نقل تلك السمات على مجال الكتابة بالإنجليزية الأكاديمية، يمكن له أن يؤدي إلى ظهور تفكك مضموني incoherence.

ومهما يكن من أمر، فإن المسألة التي لم يناقشاها مناقشة تفصيلية، هي نمط التكرار ومدى استخدامه. مثار الخلاف في هذه الدراسة، هو أن الاختلافات بين الإنجليزية والعربية في استخدام التكرار، هي المسئولة إلى حد بعيد – وإن لم تكن وحدها – عن الاختلافات في طريقة إنشاء المجادلة.

الإجراءات:

لإجراء الاختبار، سنفحص ثلاثة من النصوص، كل نص منها لكاتب بعينه. اختيرت هذه النصوص اختيارًا عشوائيًا من ثلاث صحف عربية صباحية: ثنتان منها هما: "الشرق الأوسط" و"العرب". اللتان تصدران في لندن. وأما الثالثة، فهي صحيفة "الأهرام" التي تصدر في القاهرة. وقد ضربنا أكثر الأمثلة من النص الأول: "فكرة" لمصطفى أمين. أما النص الثاني: "مشروع ريجان يؤتي ثماره" فقد كتبه فؤاد حداد، وأما النص الثالث: "حول هدف عائلي" فقد كتبه نجيب محفوظ، وهما يقدمان أمثلة مدعمة إضافية. أثبتنا النص الأول في الملحق منقولاً إلى ترجمة إنجليزية حرفية

(كلمة بإزاء كلمة) أسفل كل سطر. والهدف من ذلك هو بيان الموضوع والكيفية التي يتحقق بها التكرار. قد رقمت السطور لتيسير الرجوع إليها(*).

مستويات التكرار:

يتحقق التكرار في الخطاب العربي – على النحو الذي تكشف عنه نصوص الدراسة – على مستويات عدة. اقترحت هنا ثلاثة مستويات (وانظر أيضًا كوتش Koch (١٩٨١).: المستوى الصرفي، والمستوى اللفظي، ومستوى العصب أو الكتل. وفيما يلي نناقش كل مستوى من هذه المستويات بأمثلة من تلك النصوص.

المستوى الصرفي:

تتصف العربية – شأنها شأن اللغات السامية الأخرى – بالجذر والصيغة الصرفية. وتبنى الجذور العربية عادة على ثلاثة صوامت، ولكنها قد تبنى على أربعة. لكل جذر معنى عام. هذا المعنى هو القاسم المشترك بين معاني جميع الصيغ التي يتحقق فيها ذلك الجذر. مثال ذلك ارتباط الجذر: ك – ت – ب بالكتابة، وارتباط الجذر: س – م – ع بالسماع. الجذور غير قابلة لأن يتلفظ بها لأن الحركات لا ترتبط بالجذر في صورته المجردة. ويصبح الجذر متلفظًا به ومحددًا على نحوٍ بعينه عند استعماله في إحدى صيغه الصرفية المتعددة. وتستلزم الصيغة الصرفية حركة أو أكثر من حركة على هيئتها من قبل بين صوامت الجذر أو بعدها، كما تستلزم صيغ صرفية أخرى مضاعفة صامت أو زيادة صوامت الجذر، أو زيادة صوامت أخرى. وصوامت الجذر ثابتة، ويسهل دائمًا التعرف إليها.

(*) يبرر هذا توجه الدراسة – في الأساس – إلى القارئ الإنجليزي، ولم أجد هنا ما يدعو إلى إثبات الترجمة الإنجليزية الحرفية، واكتفيت بإثبات النص العربي – الذي ألحقه المؤلف بدراسته – في نهاية هذه الترجمة.

يعظم التكرار الصرفي بالكلمات التي توضع في مجاورة تركيبية Syntactic Proximity، حتى تتكشف ما بينها من مشابهة في الجذر أو الصيغة الصرفية.

يعني هذا أن تلك الكلمات قد بنيت على صيغة واحدة، أو من جذر لغوي واحد، حتى تعطينا نمطين صرفيين اثنين للتكرار: تكرار الصيغة، وتكرار الجذر، وفيما يلي بيان موجز بورود كل نوع منهما في النصوص.

تكرار الصيغة:

يشتمل تكرار الصيغة الصرفية على استعمال الكلمات ذوات الصيغ الصرفية المتطابقة أو المتماثلة. وهناك أمثلة من النص الأول:

- ليس استغلالاً... وليست استيلاء
- يقتلني، ولا ينفعني
- الضعفاء... الأقوياء
- يعارض... يحارب... يحاسب... يعادي... يحابي.

لاحظ أن تكرار الصيغة يقود إلى تكرار آخر على المستوى الصوتي. وذلك إذا نطق جهرة؛ وهو ما يقوي تأثير التكرار.

يتصل بهذا النمط من التكرار نمط آخر وهو تكرار علامات الإعراب على أواخر الكلمات التي تقع في مجاورة واسعة محكمة الاتصال، فتعطي تأثير كلمات مسجوعة. أما الإعراب على أواخر الكلمات، فإنه يقيّد – إلى حد بعيد – بالوظيفة النحوية التي تشغلها الكلمات في الجملة.

ومثال ذلك أن الصفة تتبع الاسم الذي تصفه. في هذه الحال، تتبع الصفة الاسم الذي يسبقها في علاماته الإعرابية. مثال ذلك من النص الأول:

- يد واحدة.

وهناك حالة أخرى، هي أن يربط أحد حروف العطف بين اسمين أو صفتين أو فعلين؛ فالثاني فيهما يتبع الأول عادة في إعرابه. والمثال الوحيد بين الأمثلة المتعددة في هذا النص هو:

- تضحية وبذل وفداء.

تكرار الجذر:

يقع تكرار الجذور المعجمية في بنى مختلفة. تشير كوتش Koch (١٩٨١) إلى المفعول المطلق، وهو اسم معنى مشتق من فعل يسبقه. من أمثلة كوتش الوفيرة:

- تجرف جرفًا

حيثما اشتق اسم "جرف" والفعل" تجرف" من جذر واحد هو: ج – ر – ف. على أي حال، فالنصوص الموضوعة للبحث هنا تكشف عن غياب استعمال هذه البنية. ويمكن لمدونة كبرى أن تصف وصفًا أوضح دور المفعول المطلق في بنيان النص.

وتتنوع البنى التي تظهر فيها حالات تكرار الجذر المعجمية تنوعًا. ومن ثم يصعب تعيين أنواعها. ويمكن أن نلمح إلى تلك البنى بوصفها "ميولاً أسلوبية"، على رغم أن هذا الاصطلاح يفتقر إلى تحديد مناسب. أما الشئ المحدد في هذا السياق، فهو أن تكرار الجذور – إيًا كانت أنماط البنى التي تظهر فيها – إنما هو انعكاس للإلحاح اللغوي على وضع استعمالات متعددة للجذر الواحد. وهو إلحاق تعرفه العربية في درجة أعلى مما تعرفه الإنجليزية. تقدم السطور القليلة الأولى من النص الثاني عددًا من الشواهد على كلمات مشتقة من جذر بعينه هو: ظ – هـ – ر. مثل: ظاهرة... إظهارها... ظهور... ظاهر. وهناك مثال آخر من النص نفسه هو:

- أثمرت ثمارها.

فكل من هاتين الكلمتين مشتق من الجذر: ث – م – ر. وربما كان خير بيان للفرق بين الإنجيزية والعربية، هو ترجمة العبارة الأخيرة ترجمة حرفية: "The fruit fruited".

تحث قوانين الخطاب الإنجليزية التي دونت في المراجع البلاغية في باب تعدد الاختيار اللفظي "Variety in Word Choice" تحث الكتاب على أن يصدفوا عن هذا النوع من التكرار. والعكس هو الصحيح في الخطاب العربي.

المستوى اللفظي:

يتحقق التكرار – في هذا المستوى – من خلال استعمال ما ندعوه هنا باسم "السلاسل اللفظية Word strings" والسلسلة اللفظية هي بنية من الشكل التالي:

أ x ب (x جـــ..)

تخضع هذه البنية للمعايير التالية:

(١) أنها تنشأ عادة من مكونين اثنين رئيسين: أ، ب؛ ولكنها قد تنشأ من ثلاثة مكونات أو أكثر: جـــ...

(٢) تتطابق المكونات أ، ب، (جـــ،...الخ) في الوظيفة النحوية: فقد تكون أسماء، أو أفعالاً، أو صفات، أو أحوالاً. وإن كانت الأخيرة أقل وقوعًا.

(٣) العلامة x علامة وصل عادة، وهو غالبًا إضافة. وهو في صورته الأولية وصل بالواو. ولكنه وصل بغير الواو أحيانًا. ويمكن أن تكون العلامة x صفرًا أيضًا؛ أي علامة على الوصل بين مكونات التركيب في سلاسل لفظية – دون رابط.

(٤) قد تكون أ، ب، جـــ... مترادفة، أو تظلها ظلال معنى مشتركة، ولكنها متضادة أحيانًا. وسوف نفصل هذه المسألة فيما بعد.

(٥) تزاول البنية أ x ب (x جـــ...) عملها عادة بوصفها وحدة تركيبية واحدة في الجملة، وفي حال كون المكونات: أ، ب، جــــ...الخ) أفعالاً أو صفات أو أحوالاً – ذات مرجع واحد، لا مرجعين منفصلين: أعني عندما نشير جميعًا إلى شئ واحد أو حدث واحد أو حال واحدة. وفيما يلي بعض الأمثلة على السلاسل اللفظية من النص الأول:

- المدافع والسيوف.
- الصواعق والضربات.
- تضحية وبذل وفداء.
- الرأي والفكر.
- العنف والإرهاب.
- الإقناع والحجة والدليل.

يلزم هنا الاحتراز. فليست السلاسل اللفظية – من هذه الشاكلة – مما تتميز به العربية وحدها. تقع مثل تلك السلاسل في اللغة الإنجليزية أيضًا، في عدد من تعبيرات القوالب الجامدة أو شبه الجامدة frozen idiomatic frozen, or semi – expressions، لاسيما في اللغة الإنجليزية التي يكتب بها القانون والتي تعرف باسم "المزدوجات doublets" ومن أمثلتها ما يلي:

each and every
fair and square
Law and order
fits and starts
last will and testament
give and bequeath
without let or hindrance

قد تجمد بعض السلاسل اللفظية في العربية، ولكنها تتميز غالبًا بالابتكارية والإنتاجية.

ناقش عدد من الباحثين السلاسل اللفظية. ناقشها بيستون Beeston (١٩٧٠) تحت مسمى "Hendiadis"، وعرفها بأنها "استعمال كلمتين بظلال دلالية مختلفة" – لكنها متداخلة – لتعيين مجال التداخل فيما بينهما"

(ص١١٢). وعلى كل حال، فإن بعض السلاسل اللفظية تعد من النماذج التي تدرج تحت هذا المسمى وفقًا لتعريف بيستون، ولكن هذا التعريف لا يغطي تلك السلاسل جميعًا، وهذا أمر نناقشه لاحقًا.

كذلك، فقد ناقش مونتايل Monteil (١٩٦٠) مفهوم "السلسلة اللفظية" تحت عنوان "الحشو Pleonasme" وإن كانت مناقشته مقتضبة جدًا. وظيفة الحشو هي التعبير عن المفهوم نفسه بتأطيره في لفظين مترادفين أو متجاورين في المعنى. عرضت كوتش (١٩٨١) وصفًا مفصلاً تحت عنوان "المزدوجات المترادفة synonym couplets". وعلى نحو ما يشير العنوان، عنيت كوتش بتلك السلاسل التي تقوم على مكونات مترادفة أو مشتركة في المعنى. من ثم، استبعدت المكونات ذوات المعاني المتضادة. فضلاً عن ذلك، فقد أطلقت على السلاسل اللفظية اسم "المزدوجات"؛ أي أنها السلاسل التي تبنى على مكونين اثنين. وبناء على ذلك، تجاهلت السلاسل التي تبنى على عدد أكبر من المكونات.

يمكن أن تنشأ العلاقات الدلالية بين المكونات، داخل السلاسل اللفظية، حتى تبلغ درجة عظيمة جدًا. من أجل ذلك، ينحصر تصنيفها في إجراء تجربة على قدر أصغر – نوعًا ما – من المواد النصية. على أي حال، يمكن التمييز بين المجموعات التالية من السلاسل اللفظية في النصوص التي اعتمدت عليها هذه الدراسة:

المجموعة الأولى: في هذه المجموعة، تبدو مكونات السلسلة مترادفة، ومتبادلة، وقابلة لأن يحل أحدها محل الآخر في ذلك السياق الخاص، ومثالها من النص الأول:

– تضحية وبذل وفداء.

المجموعة الثانية: وهي تشبه المجموعة السابقة؛ وذلك أن العناصر توشك أن تكون مترادفة في ذلك السياق الخاص، ولكنها تشغل وظائف أبعد: إنها تساعد على عرض زاويتين مختلفتين اختلافًا طفيفًا في النظر

إلى المشار إليه. ويعين هذا على إنجاز تأثير أقوى. وفيما يلي أمثلة من النص الأول:

- الصواعق والضربات.
- المدفع والكرباج.

المجموعة الثالثة: وفي هذه المجموعة تنشأ علاقة تضمن أو استلزام implication بين المكونات. ويمكن أن تتشعب في أكثر من اتجاه: يمكن أن يؤدي المكون الأول إلى المكون الآخر أو العكس. في الأمثلة التالية – وهي جميعًا من النص الأول – يؤدي المكون الأول إلى الثاني:

- استغلال ومكاسب.
- العنف والإرهاب.
- المنافقين والمنتفعين.

المجموعة الرابعة: في هذه المجموعة تتفاوت المكونات – على رغم اشتراكها في معنى عام واحد إلى حد ما – تتفاوت فيما بينها، من حيث خصوص الأول وعموم الثاني. بعبارة أخرى، يعد المكون الأول حالة أخص من حالات المكون الثاني. وهناك أمثلة من النص الأول:

- الحرية وحقوق الإنسان.
- الرأي والفكر.
- المدارس والمعاهد.

المجموعة الخامسة: وفي هذه المجموعة يكيف أحد المكونات معنى الآخر. يرجع هذا الفعل إلى الثاني عادة، وربما كان الأول. يحدث هذا بتعيين معناه أو يجعله ملموسًا على نحو أظهر. مثال ذلك من النص الأول:

- الإقناع والحجة والدليل.

المجموعة السادسة: تنطوي مكونات هذه المجموعة على تدرج في المعنى gradation of meaning، وتميل إلى تكوين نظام دلالي بعينه. وهناك أمثلة من النص الأول:

- العمدة وشيخ الخفر والمحافظ ورجال الشرطة.
- تقوى... تعيش.

المجموعة السابعة: وهي أن تكون مكونات السلاسل اللفظية في هذه المجموعة متضادة، أو توشك أن تكون متضادة. هذه وسيلة قديمة في العربية، استعملت على مر العصور في الشعر والنثر على حد سواء. والهدف من استعمال هذه الوسيلة، هو زيادة قوة اللفظ بوضعه مع مضاده في مجاورة وثيقة الاتصال. في النصوص التي أجري عليها البحث، يعد استخدام هذه المجموعة أبرز الاستخدامات. وفيما يلي بعض الأمثلة من النص الأول:

- حكمت ثم حوكمت.
- تولت ثم اندثرت.
- ارتفعت ثم سقطت.

المجموعة الثامنة: ونرى السلاسل اللفظية في هذه المجموعة جامدة، أو توشك أن تكون جامدة. تصطحب المكونات بعضها بعضًا عادة، وليست تبادلية non - commutative. لا نجد في النص الأول إلا هذا المثال:

- اليوم وكل يوم.

يتضح لنا – بفحص الأثر البلاغي للسلاسل اللفظية في النصوص الثلاثة – أنها تمتلك خطابًا بعينه وأنها ليست مجرد أدوات تزيينية ornamental devices. عندما تتردد تلك السلاسل خلال المجادلة، تعمل على خلق تأثير انفعالي مباشر. وهي تقع على نطاق واسع عندما يركز على الأفكار تركيزًا حماسيًا قويًا. إن المتكلم يقصد إلى تلك السلاسل قصدًا مباشرًا، عند رغبته في ممارسة تأثير جارف في عقول المتلقين (القراء أو المستمعين).

مستوى الكتل:

كلمة "الكتل Chunk" هي التعبير المناسب هنا. وهي تستعمل للإشارة إلى العبارات والجمل والمتواليات الخطابية الأوسع. ونحن نحاول أن

نتجنب استخدام مصطلح "الجملة" الذي نراه – في العربية على الأقل – مصطلحًا غامضًا ومن ثم نراه غير عملي.

في هذا المستوى من الخطاب، يظهر التكرار في نسقين رئيسين، أحدهما: التوازي Parallelism والآخر هو التكرار المعنوي Paraphrase (انظر كابلان١٩٦٦،وكونتش ١٩٨١، وويليامز١٩٨٢). يشير النسق الأول إلى تكرار الشكل، ويشير النسق الثاني إلى تكرار المضمون. وفيما يلي نجمل القول فيهما.

التوازي:

في مناقشة نمو الفقرة، يرى كابلان (١٩٦٦) أن اللغات السامية – ومنها العربية – تميل إلى إنماء الفقرة على أساس سلاسل مركبة من البنى المتوازنة. تبين النصوص الثلاثة التي أجرى عليها البحث. أن الصور المتوازنة في العربية تتماز غالبًا بالعطف (أعني أن حرف العطف يربط بين مكونات البنية أو أجزائها). وحرف العطف الأشيع هو الواو. وقد تستعمل العربية أيضًا صورًا من التوازي لا تبنى على العطف وهي صور تتسم بتأثير أقوى، لا سيما إذا قوبلت – فيما نحسب – بالصور التي تبنى على العطف في أجزاء أخرى من النص.

تتفاوت درجة التوازي في النص الأول. ويمكن التمييز بين درجتينن اثنتين من التوازي:

(أولاهما) التوازي الكامل؛ إذ نجد مطابقة كلية – أو هكذا غالبًا – بين الصور المتوازية. ومن أمثلة ذلك في النص الأول:

– وكم من أحزاب حكمت ثم حوكمت.

– وتولت ثم اندثرت.

– وارتفعت ثم سقطت.

ويمكن أن نعرض هذه الأمثلة في رسم بياني على النحو التالي:

	←	بناتي	←
دلالي ↓		ثم	
	حكمت		حوكمت
	و		
	تولت		اندثرت
	و		
	ارتفعت		سقطت

في هذه الكتلة، يجري التكرار البنائي على نحو أفقي: تربط الواو بين ثلاث سلاسل لفظية متوازية. وتبنى كل سلسلة لفظية على مكونين اثنين مربوطين بحرف العطف "ثم". كلا المكونين فعل ماض ينتهي بالتاء، وهي تاء الفعل الدالة على التأنيث ويقع التكرار أيضًا على نحو رأسي؛ فالمكونات الأوائل في السلاسل الثلاث، يجمع بينها تشابه مفهومها الدلالي semantic sense؛ أعني مفهومها الإيجابي positive sense؛ وهو مفهوم العزة أو القوة: حكمت، تولت، ارتفعت. أما المكونات الثواني، فتشترك في دلالتها على مفهوم سلبي negative sense؛ وهو مفهوم الضعف: حوكمت، اندثرت، سقطت. وفي القسم اللاحق سنعالج تكرار المعنى.

والأخرى هي التوازي الناقص؛ ففي هذه الصورة تقع مطابقة جزئية بين الصور المتوازنة ويمنح كلا النمطين تأثير تراكم الدعاوى cumulation of claims؛ التي تجعل المجادلة أكثر إقناعًا persuasive وتقدم الفقرة الأولى من النص الأول أمثلة ممتازة على هذا النمط:

- إذا دافع عن قضية الحرية وحقوق الإنسان.
- إذا احتضن كل مظلوم.
- إذا اقوم الفساد.

– إذا ضرب الأمثلة في القدوة الصالحة.

– إذا حول الأمثلة إلى أفعال والوعود إلى حقائق.

في هذه الأمثلة الخمسة جميعًا تكررت أداة الشرط؛ فكل منها يبدأ بـــ "إذا" وقد تلاها فعل في الماضي فاعله ضمير مستتر، والضمير المستتر يعود إلى الفاعل في الجملة الرئيسة المذكورة آنفًا بالكتلة. يبدأ التكرار بجملة شرطية طويلة نسبيًا، وهي ذات سلسلة لفظية مؤلفة من مكونين اثنين. وهي متلوة بجملتين أقصر وجملتين أطول. تبنى الجملتان الأول على عبارتين متوازيتين عطفت إحداهما على الأخرى بالواو.

التكرار المعنوي:

بينما التوازي – على نحو ما أجمل سابقًا – هو تكرار الشكل إذا بالتكرار المعنوي يشير إلى تكرار المضمون. إنه ينطوي على إعادة تبليغ مسألة أو حجة مرات عدة. هذا النمط من التكرار – على رغم وجوده في خطاب لغات أخرى – يعد انعكاسًا لميل الكتاب العرب إلى التوكيد القوي. يخلق التكرار المعنوي – متصلاً بأنماط التكرار الأخرى – تأثيرًا مستحسنًا في المتلقي. كذلك يكشف الميل إلى التوكيد القوي عما يبدو – في منظر المتلقي الغربي – أسلوب بهيًّا مطنبًا في خطاب المجادلة، حيثما يقصر الإيجاز عن نقل التأثير المطلوب.

في النص الأول يتعلق تكرار المضمون – في معظم حالاته – بتكرار الشكل. وقد قصد بهذه العلاقة خلق تأثير أعظم وأقوى إيقاعًا، وأشد حماسة. فضلاً عن ذلك، يبدو هنا وجود نمطين اثنين من التكرار المعنوي. في النمط الأول، يوصف فعل أو حدث عدة مرات من منظور بعينه. إنه يشبه إعادة شرح القضية. وفي النمط الثاني، يوصف الفعل أو الحدث من منظورين اثنين متضادين. وفيما يلي بعض الأمثلة من النمط الأول:

– الكلمات إلى أفعال والوعود إلى حقائق.

– ليست مغانم تقسم ولا أسلابًا توزع.

وفيما يلي أحد الأمثلة من النص الأول على النمط الثاني:

– لا قيمة لحزب وهو فوق الكراسي، وأما قيمته الحقيقية، فتظهر عندما ينقد السلطان.

الخلاصة:

قبل أن نقدم أي خلاصة لما سبق، هناك أمر ينبغي لنا توكيده. هذا الأمر هو أن المادة التي أجري عليها البحث، تمثل عينة تصغر عن أن يركن إليها، وأن ما اخترته من نصوص قد لا يكون مقياسًا، وأن هذا يحوج – في واقع الأمر – إلى بحوث إضافية، تعول على مدونات أوسع لعربية المجادلة المكتوبة. ويجري الآن إنجاز مثل هذه المدونة في قسم اللغات الحديثة بجامعة آستون في برمنجهام Department of modern Languages. The University Aston In Birmingham.

على أن هناك بعض الأمور التي يمكن أن تستنتج من المناقشة السابقة. فخطاب المجادلة العربي – على النحو الذي مثلته نصوص هذه الدراسة – خطاب مبني على آلية التكرار bulit- in mechanism of repetition.

ويمكن التعرف على هذه الآلية على مستويات مختلفة:

- **المستوى الصرفي:** وتظهر فيه هذه الآلية من خلال تكرار الجذر والصيغة الصرفية.

- **المستوى اللفظي:** ويتجلى فيه التكرار في سلاسل لفظية.

- **مستوى الكتل:** ويتحقق فيه التكرار من خلال التوازي والتكرار المعنوي.

يغلب أن تكون ظهور هذه التجليات للتكرار – على المستويات المتنوعة – نوعًا من التفاعل بين الإنتاج والتأثير المنشود، ويسهم التكرار إسهامًا أصليًا في تصعيد قوة النص، حتى يبين عن مضمونه.

ويمكن للتكرار أيضًا أن يخلق نوعًا من التوتر الذي يدفع المجادلات إلى الأمام دون تدليل صريح على الدعاوى. تتجمع عناصر المجادلة الجوهرية على نحو يعاد فيه – على مهل – اختبار الموقف أو الفعل أو الحدث – من جهات مختلفات – عن طريق أثره في تعظيم واقعية الدعاوى؛ ومن ثم توكيدها توكيدًا قويًا.

ولما كانت المجادلة متطورة، فإن التوكيد يجعلها أرسخ وأقوى، ويعين ما يتركه في المتلقي من أثر انفعالي على إقناعه.

المراجع

- Beeston, A.F.L. (1970): The Arabic Language Today, Hutchinson, London.
- Dudley- Evans, T., and Swales, J. (1980): Study Modes and Students from The Middle East ELT Documents 109, The British Council, London.
- Kaplan, R., B., (1966): Cultural Thought Patterns in Inter-cultural Education Language Learning, Vol. XVI, Nos. 3 and 4.
- Koch, B.J. (1981): Repetition in Cohesion and Persuaion in Arabic, Unpublished Ph. D. dissertation, University of Michigan.
- Monteil, V. (1960): L'Arabic Moderne Li'braire C. Klincksieck, Paris.
- Williams, M.P. (1982): A Contrastive Analysis of Text Cohenson and Development in Arabic and English. Unpublished M.A. dissertation, University of Leeds.

الملحق:

فكرة (النص ١)

في استطاعة أي حزب أن ينجح إذا دافع عن قضية الحرية وحقوق الإنسان، إذا احتضن كل مظلوم، إذا قاوم الفساد، إذا ضرب الأمثلة في القدوة الصالحة، إذا حول الكلمات إلى أفعال والوعود إلى حقائق. كل حزب يقف إلى جانب الشعب يقف الشعب إلى جانبه؛ يحيط به عندما توجه إلى ظهره الخناجر وإلى صدره المدافع والسيوف.

لا قيمة لحزب وهو فوق الكراسي، وإنما قيمته الحقيقية تظهر عندما ينقد السلطان. وكم من أحزاب حكمت ثم حوكمت، وتولت ثم اندثرت، وارتفعت ثم سقطت. ولكن الحزب الحقيقي الذي له جذور في الشعب هو الذي يضعف عندما يتولى الحكم، ويقوى عندما تنهال عليه الصواعق والضرب. والحزب الصاعد هو الذي لا تجمعه طبلة ولا يفرقه سوط. هو الذي يواجه العواصف لا الذي يمشي على الشاطئ خوفًا من الأمواج. هو الذي يخوض المعارك السياسية معتمدًا على مبادئه وأنصاره، لا على العمدة وشيخ الخفر والمحافظ ورجال الشرطة وأنصار كل حكومة وطابور المنافقين والمنتفعين. فالأحزاب ليست مغانم تقسم، ولا أسالبًا توزع؛ وإنما السياسة تضحية وبذلك وفداء. ليست استغلالاً ومكاسب، وليست استيلاء على الحكم والنفوذ والسلطان.

ليس لمصلحة حزب أن يشتغل بالتجارة، أو يفتح البنوك ويؤسس الشركات. فليس الحزب محل بقالة ولا سوبر ماركت؛ وإنما الحزب معبد للرأي والفكر؛ فهل سمعت عن جامع أو كنيسة أو معبد فتح دكان عطارة، أو ساهم في قهوة بلدي، أو اشترك في إنشاء سيرك قومي؟ ممكن للحزب أن يملك الصحف، وأن يؤسس المدراس والمعاهد، ولكن ليس من حق أي حزب أن تكون له ميليشيا خاصة؛ فالحزب عندما يكون له جيش خاص، يتحول إلى عصابة تقطع الطريق على الديمقراطية، وتسلب المواطن الحرية وتدوس حقوق الإنسان بالأقدام.

العنف سلاح الضعفاء، والفكر سلاح الأقوياء. المسدس يقتلني ولا ينفعني. والمدفع الذي في يدك قد يجعلني أخافك، ولكنه لا يجعلني أحبك، وقد رأينا نتيجة العنف والإرهاب في كل بلد حولنا؛ فالمدفع الرشاش لا يبقى في يد واحدة إلى الأبد. وإنما ينتقل من يد إلى يد. وقاتل الأمس هو قتيل اليوم. وكل الذين حفروا قبور الإرهاب دفنوا فيها، وأهيل على قبورهم التراب.

يجب أن يلتزم كل حزب بقواعد أخلاقية ليعيش. يختلف ولا يعادي، يعارض ولا يحارب، يؤيد ولا يحابي، يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الآخرين. لا يتستر على الأخطاء، ولا يبرر الجرائم، ولا يحمي الخارجين عن القانون.

مهمة عضو الحزب أن يعيش في الشارع لا في مكاتب الوزراء؛ يحمل متاعب الناس إلى الحاكم، لا يحمل له مطالب الأقوياء والأنصار، يدعو لمبادئ حزبه بالإقناع والحجة والدليل، لا بالمدفع والكرباج. تحميه الأمة لا السلطة، ويدعمه الشعب لا تأييد المحافظ أو المدير، يشعر أن الانتخابات القادمة ستحدث غدًا، فيستعد لها من اليوم وكل يوم. ومهمة كل نائب أن يعمل للشعب كأن الانتخابات ستجرى غدًا، ويعمل في البرلمان كأنه سيحل اليوم. بهذا وحده تقوى الأحزاب وتعيش.

(الشرق الأوسط – الثلاثاء ٢١/٩/١٩٨٢م).

ثبت المصطلحات

ثبت المصطلحات

A	
Acceptability	قبول / مقبولية
Adversative	(علاقة) مخالفة
Apposition	عطف بيان / بدل
Argument	جدل
(public -)	جدل علني

(oppositional -)	جدل مضاد / تعارضي
Argumentation	مجادلة
(counter -)	مجادلة مضادة
C	
Challenge	معارضة / مناهضة
Chunk	كتلة / عصبة
Claim	دعوى
Clause	جملة
(modified -)	جملة مكيفة / معدلة
Coherence	حبك
Communicative	اتصالي
(- breakdown)	فشل اتصالي
Competent	كفء (من الكفاءة اللغوية)
Competetive	تنافسي
(- move)	حركة تنافسية
Conclusion	نتيجة
Conjunction	وصل
Content	محتوى
Contestability	قابلية الجدل (من وجوه العلل)
Context	سياق
((rhetorical -)	سياق بلاغي

Contextualized	(تعديل) سياقي
Conversational	حواري
(- move)	حركة حوارية
(- role)	دور حواري
Cooperative	تعاوني
(- response)	استجابة تعاونية
Couplet	مزاوجة
Cumulation	تراكم
(- of claims)	تراكم الدعاوى

D

Datum	معطيات
Deixis	إشارة
(emotional -)	إشارة انفعالية
Dialogue	حوار خارجي
Dispute	منازعة

E

Ethos	عرض المجادلة لذاته
Evaluative	تقويمي
(- argumentation)	مجادلة تقويمية
Evaluativeness	تقويمية
(degree of -)	درجة التقويم

Event	حدث / واقعة لغوية
Evidence	تدليل / دليل
Exclusivity	علة مانعة
Explanatory	(علامة) توضيح
Exposition	عرض
(detached -)	عرض مجرد
Expository	عرضي
(- text)	نص عرضي
F	
Fallacious	سفسطة
Floor	دور (كلامي)
Formalaic	قالبي
(- phrase)	عبارة قابلية / جامدة
Formalistic	شكلاني
(- rigidity)	صرامة شكلانية
G	
Generalization	تعميم
Grammaticality	الصحة النحوية / مطابقة القواعد
H	
Hendiadis	استعمال كلمات بظلال دلالية مختلفة متداخلة
I	
Ideational	تصوري

(- vagueness)	غموض تصوري
Idiomatic	قالبي
(- expression)	تعبير قالبي / جامد
Infallibility	الخلو من الخطأ (من وجوه العلل)
Inference	استدلال
Information	استعلام
Informational	استعلامي
(- status)	وضع استعلامي
Integrity	اجتماع (من وجوه العلل)
Intimate	(علة) قريبة

L

Language	لغة
(- variety)	تنوع لغوي
Lexical	معجمي
(- couplet)	مزاوجة معجمية
Logos	منطق

M

Meaning	معنى
(gradiation of -)	تدرج في المعنى
Metalinguistic	لغة واصفة
(- phrase)	عبارة واصفة
Metapher	استعارة

(visual -)	استعارة بصرية
Modification	تعديل
Modificational	تعديلي
(- syntax)	نحو التعديل
Monologue	حوار داخلي

O

Opposability	قابلية المعارضة (من وجوه العلل)
Oratory	خطابة
(political -)	خطابة سياسية
Ornamental	تزييني
(- devices)	وسائل تزيينية
(- figures of speech)	محسنات لغوية

P

Paradox	تناقض ظاهري
Parallelism	تواز
Paraphrase	شرح / تكرار معنوي
Paraphrastic	شارح
(- conjunction)	ربط بين عبارات متكررة معنى
Paratactic	تواز
(- repetition)	تكرار التوازي
Pathos	إثارة وجدانية
Persuasive	إقناعي

(- writing)	كتابة إقناعية
pleonasme	حشو
Ploarization	استقطاب
Position	موقف
(disputable -)	موقف نزاعي
Postulate	مسلمة
Pragmatic	اداولي
(- purpose)	غرض تداولي
Predicate	مسند
Premise	مقدمة منطقية
(minor -)	مقدمة منطقية ثانوية
Presentation	عرض / استحضار
Proof	برهان
Proximity	مجاورة
(syntactic -)	مجاورة تركيبية
Q	
Qualification	تكييف
R	
Reason	علة
Reasoning	تعليل
(lopsided -)	تعليل غير متوازن

Reciptocity	مقابلة بالمثل
Redundant	إطناب
Refrain	مذهب (في الإنشاد)
Remote	(علة) بعيدة
Repetition	تكرار
Rhetoric	بلاغة
(- of rebuttal)	بلاغة دفع الدعوى
(contrastive -)	البلاغة التقابلية
S	
Semantic	دلالي
(- sense)	مفهوم دلالي
Situation	موقف
Status	اعتبار (من وجوه العلل)
Strawman	
(- gambit)	لعبة الولاء الكاذب
Structural	بنائي
(- repetition)	تكرار بنائي
Syllogistic	قياس منطقي
T	
Temporal	زمني
Textual	نصي
(- ineptitude)	مناسبة نصية

(- resources)	مصادر نصية
Tone	نغمة
(- setter)	مركب نغمي
W	
Word	كلمة
(- order)	نظم / رتبة
(- string)	سلسلة لفظية